الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيه
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
الجامعة الإفريقية أحمد دراية - أدرار-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلا

88

قسم : التاريخ
ميدان: علوم إنسانية

كرة تخرج لنيل شهادة الماستر في

ستعمار وحركات التح

محمد بن ع

★ إعداد الطالبين :
- جعفري أحمد
- غانمي محمد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
الجامعة الإفريقية أحمد دراية - أدرار-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

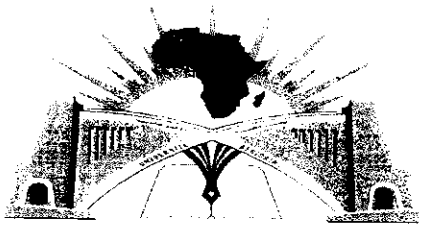

قسم : التاريخ
ميدان: علوم إنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: إستعمار وحركات التحرر في إفريقيا بين القرنين 15 و20م

مفهوم السلطة السياسية بين
محمد بن عبد الكريم المغيلي و عثمان دان فوديو

★ إعداد الطالبين :

- جعفري أمحمد
- غانمي محمد

★ الأستاذ المشرف:

ختير صافي

الموسم الجامعي : 2012- 2013 م
1433 هـ - 1434 هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهـــداء

أهدي عملنا المتواضع هذا إلى:

من وضع الله تحت أقدامها الطريق إلى الجنة ، إلى نبع الحنان أمي الكريمة أطال الله في عمرها .

إلى من له الفضل الأول على تعليمي وتربيتي، والدي الفاضل رمز التضحية والعطاء أطال الله في عمره .

إلى إخوتي عبد الكبير وعائشة والزهراء وأحمد وعبد الرحمن، وفاطمة وإبنها محمد علي.

إلى من قاسمني تعب البحث والعمل، الأخ والزميل جعفري أمحمد، وإلى كل زملاء الدفعة خاصة بن أمحمد محمد ورقاني عباس، وزملاء الدراسة تويرك علي وخيضاوي عبد الكريم، وجعفري مبروك وعزيزي عبد العزيز .

إلى كل من أعرفهم وأحترمهم وأحبهم في الله.

إلى كل من يسعى إلى كتابة التاريخ بعيدا عن التزيين والتزييف والتزوير .

عبابنة

الإهداء

اهدي ثمرة عملي هذا

- إلى الوالد الكريم تغمده الله برحمته الواسعة
- إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها.أمي العزيزة
- إلى شركاء الرحم الإخوة الأكارم.
- إلى الزوجة الوفية.
- إلى الابن الغالي بلقاسم الأمين .
- إلى الأستاذ الفاضل ختير صافي.
- إلى زميلي في المذكرة غانمي محمد.
- إلى جميع طلبة السنة الثانية ماستر .تخصص استعمار وحركات التحرر.

إلى جميع الذين ساهموا معنا في انجاز هذا العمل .

جعفري

شكر وتقدير

من لم يشكر الناس لم يشكر الله وعليه أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان إلى :

- الأستاذ المشرف خثير الصافي ، والذي نكن له بالإحترام الكبير والتقدير التام على كل ما قدمه لنا من عون خدمة للعلم والتاريخ، ليس في عملنا هذا فقط بل طوال مرحلة التدرج والدراسة بالجامعة
- كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذه الدراسة، و نخص بالذكر عمال المكتبة بالجامعة الإفريقية، وعمال مكتبة المطالعة بالمركز الثقافي الإسلامي بأدرار، خاصة المشرف عليها الأستاذ الحاج قويدر .
- كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذة قسم التاريخ بالجامعة الإفريقية على ما قدموه لنا طيلة المشوار الدراسي.

وجزى الله كل من سبق عنا خيراً .

مـــــقدمـة:

إن من عوامل ومظاهر العلاقة التاريخية بين شمال الصحراء الإفريقية وجنوبها تلك الحركة العلمية والثقافية والإقتصادية والسياسية؛ التي غذاها التواصل بين شعوب هاته المناطق، في ظل مناخ من التّأثير والتأثّر، واعتماداً على هذا الطرح واستناداً على المعطيات التاريخية الأوّلية، فإن مسار الحركات الإصلاحية التي قامت بالمجتمعات الإسلامية في هذا الحيز الجغرافي الممتد من شمال المتوسط حتى أواسط إفريقيا خاصة الغربية منها، قد تفاعلت وعبر فترات زمنية متقاربة ومتفاوتة، على عِدة مستويات بدءاً بالأهداف مروراً بالإشتراك في الرؤية للطبيعة الإصلاحية نفسها، وصولا إلى النتائج المترتبة عن تلك الحركات، والتي نجد من بين أهمها حركة المغيلي الإصلاحية بتوات وممالك السودان الغربي خلال القرن 15م، وحركة عثمان دان فوديو الإصلاحية خلال القرن 18م بأفريقيا الغربية، وهما الحركتين اللتين صاحبهما تغيُّر سياسي كبير في مناطق نشاطهما.

ومن أجل فهم أوضح لمنطلقات وعمق كل حركة، وإبراز حقيقة وحدود التأثر والتأثير بين الرّجلين وبالتالي الحركتين وذلك اعتبارا لعدة معطيات أولية أهمها الإشتراك تقريبا في الحيز المكاني والجغرافي للحركتين وتوحّد الأهداف والغايات؛ من هنا كان الدافع لدينا لإختيار هذا الموضوع تحت عنوان "**السلطة السياسية بين الشيخ المغيلي والشيخ عثمان دان فوديو**" دراسة مقارنة.

هذا وقد **تفاعلت** و**تداخلت** عدة عوامل في اختيارنا للموضوع من بين أهمها: الرغبة في التطلع وفهمٍ أكثر عمقا لأثنين من أهم الحركات الإصلاحية التي عرفتهما الصحراء الأفريقية ومناطق السودان الغربي، وكذا محاولة منا للتعرف أكثر على شخصية المغيلي المُصلح الثائر، وعثمان فوديو رجُل الدعَوة والدولة، وما مدى التقارب بين الحركتين .

ومن **الدوافع** الأخرى هو أن الموضوع يتناسب مع تخصصنا الذي يهتم بالتاريخ الأفريقي من القرن 15م إلى القرن 21م، ثُم إن الرغبة في إبراز موروث تاريخي يُساهم بأي

شكل من الأشكال في التنظير للعلاقة الأفريقية المغاربية على أسس تاريخية مشتركة مثّل لنا دافعا قويا لدراسة الحركتين إعمالاً لهذا الهدف.

وهذا ما أفرز لنا **الإشكالية** التالية والتي تتعلق بمفهوم السلطة السياسية للشيخين؟ وما الطرق المّتتبعة من طرف كل من المغيلي وعثمان فوديو في تنفيذ مشروعهما الإصلاحي السياسي؟ هذا وقد تفرع عن هذا التساؤل الرئيس العديد من الأسئلة الفرعية من بينها: طبيعة ومميزات وخصائص كل حركة؟ ثُم ما هي أوجه التشابه والإختلاف بين الحركتين؟ وأين تكمّن مظاهر التأثر والتأثير بينهما ؟ وفيما تترتب أهم الآثار التي تركها فكر وعمل الرجلين على المدى القريب والبعيد؟.

وعليه فإن طبيعة الموضوع جعلتنا نعتمد على **المنهج** الوصفي، وذلك تقصيا للوقائع وتبيانا للأحداث التاريخية المصاحبة للحركة المغيلية والفودية، كما اعتمدنا المنهج التاريخي الاستدلالي من أجل الإحاطة بالأحداث، وتحليل أسباب الحركتين وظروفهما، والوقوف بشيء من التمحيص حول أهدافهما، وقراءة النتائج المترتبة عن كل حركة، وفي خضم كل ذلك استعنا بالمنهج المُقارن بغية دراسة معالم التأثير بين الحركتين، وفهم معالم التقاء واختلاف فكر الرجلين خاصة السياسي منه؛ محاولين قدر الإمكان إلتزام الموضوعية، وإعمال الحيادية التاريخية.

وفي محاولة للإجابة عن التساؤلات الآنفة **قسمنا دراستنا** هذه إلى ثلاثة فصول وخاتمة؛ حيثُ جاء الفصل الأول حول ظروف عصر كل من الشيخ المغيلي وعثمان فوديو، وتفرع إلى مبحثين: الأول تناولنا فيه الظروف السياسية والإقتصادية وكذا الإجتماعية والثقافية لكل من تلمسان تحت الحكم الزياني، وإقليم توات بقلب الصحراء الجزائرية، وممالك السودان الغربي خاصة مملكة كانو وسنغاي زمن المغيلي، وتأثيرات ظروف عصره عليه كعالم مصلح، والمبحث الثاني تحدث عن نفس تلك الظروف بالسودان الغربي خلال القرن 18م زمن عثمان فوديو، وخاصة ممالك الهوسا السبع، وما كان بها من مفاسد أخلاقية واجتماعية وسياسية وإنحطاط علمي وثقافي رهيب في بلاد عرفت قيام دول وممالك إسلامية.

أما الفصل الثاني فحاولنا أن نعالج من خلاله حياة الشخصيتين، ونشأتهما، وما خلفاه من إرث مادي ومعنوي، وقسمناه هو الآخر إلى مبحثين؛ بحيث تكلم المبحث الأول عن حياة المغيلي وما لفّها من غموض في بداياتها الأولى، كما عرَجنا على شيوخه وتنقلاته وتلامذته، دون أن نغفل ما تركه المغيلي من مؤلفات في شتى المجالات، أما المبحث الثاني فتحدث عن حياة عثمان فوديو وظروف نشأته وأهمية عائلته وقبيلته 'الفلان'، وكذا مؤلفاته ومشارب أفكاره الدينية والسياسية كذلك.

أما الفصل الثالث والأخير، فموضوعه كان الفكر الإصلاحي السياسي وكذا الرؤية النظرية والتطبيقية لمشروع الدولة والسلطة عند المغيلي وعثمان فوديو، وقد أحتوى الفصل على ثلاثة مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول طبيعة الحركة الإصلاحية المغيلية و الفودية خلال القرن 15م و18م على التوالي، في حين أن المبحث الثاني كان عبارة عن محاولة لتحليل الأفكار السياسية والتجديدية في بناء الدولة وإقامة الحكم الشرعي، ناهيك عن المدى الواقعي لتطبيق تلك الأفكار لدى المصلحين، أما المبحث الثالث فقد تناول عمق التأثير والتأثر ومدى خضوع الحركتين للشروط التاريخية نفسها، وذلك في محاولة لرصد نقاط إجتماع وإختلاف فكر الرجلين، أما **الخاتمة** فقد أردنا أن تكون عبارة عن جملة من النتائج والاستنتاجات التي خلُصت لها الدراسة كما أرفقناها بعدة ملاحق توضيحية وتفسيرية.

وقد إعتمدنا في دراستنا هذه على جملة من المؤلفات **المصدرية والمرجعية** المتنوعة من أهمها: بعض المخطوطات الموجودة بالمكتبات الخاصة والعامة بتوات من بينها 'الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب توات' لمحمد بن العالم الجزلاوي، ومخطوط 'تقييد نسب المغيلي' لإبن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد، والبعض الآخر محقق ومطبوع مثل 'تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين' للمغيلي ورسالته الموسومة 'بأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي'، ولعثمان فوديو نجد مؤلفه 'فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر'، بالإضافة إلى الكتب االمصدرية التي تناولت حياة المصلحين منها 'نيل الإبتهاج بتطريز الديباج'لأحمد بابا التمبكتي ومؤلف محمد بلو بن عثمان فوديو الموسوم 'بانفاق الميسور في

تاريخ بلاد التكرور'، وكتاب 'البستان في ذكر علماء تلمسان' لأبن مريم التلمساني، وكتاب 'المعيار المعرِب...' للونشريسي، ومُصَنف حسن الوزان المعروف باسم 'وصف إفريقيا' .

أما فيما يخص **المراجع** المعتمدة فقد تنوعت مابين كتب أكاديمية ورسائل جامعية، ومؤلفات متخصصة، وأخرى مترجمة، أو ضمن ملتقيات علمية منها: كتاب 'الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء' لعبد القادر زبايدية، وكتاب 'موجز تاريخ نيجيريا' وكتاب 'الأمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى' وهما مؤلفان لأدم الألوري كما أعتمدنا على كتاب 'تاريخ إفريقيا الغربية من مطلع القرن 16 إلى القرن 20م' ليحي بو عزيز، وكتاب 'الحركات الإصلاحية في غرب افريقيا خلال القرن 19م' لعبد الله عبد الرزاق ابراهيم، ومن بين الرسائل العلمية المعتمدة نجد 'الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ/19م' لأحمد بوعتروس، و'محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات –عصره وآثاره–' لأحمد حمدي.

كما نُسجلّ العديد من **الصعوبات** التي واجهتنا أثناء الدراسة من بينها: مشكلة المصادر خاصة المخطوطة منها، فإلى جانب تعذر التنقل إلى البلاد الإفريقية للحصول على المخطوطات التي تهّم الموضوع، نجد صعوبة في الحصول عليها من المكتبات 'الخاصة' بتوات، ومن الصعوبات الموضوعية كذلك قلة الدراسات البحثية التي تختص بالفكر السياسي للمغيلي وعثمان فوديو وما يجمع المصلحين من أفكار وأعمال، كما أن التضارب في المعلومات وإختلاف التواريخ، وتعدد الأحكام؛ ناهيك عن تعارضها يُمثل تحديا للباحث في رسم تصور عام للموضوع، ثُم إن التاريخ الإفريقي تعرَض لحملة تشويه وتغيير ممنهجة من الكتابات الأجنبية جعل الأخذ بها مع تحتويه من معلومات قيمة أمر صعب وشاق، وبالإضافة إلى ما تقدم فإن إتساع الموضوع، خاصة وإنه يتناول شخصيتين بارزتين، خلال فترتين زمنيتين متباعدتين نسبيا تجعل من الإحاطة بكل الجوانب أمر في غاية الدقة.

إلا أنه حاولنا تجاوز الصعوبات بما توفر من معطيات وإمكانيات، رغبةً في الحصول على قدر أدنى من الإجابات حول حياة المصلحين ونشاطهما الإصلاحي والسياسي .

الفصل الأول

بيئتا الرجلين

- **المبحث الأول:** الأوضاع العامة بأقاليم تلمسان توات والسودان الغربي في عصر المغيلي .
- **المبحث الثاني:** الأوضاع العامة بأقليم السودان الغربي في عصر عثمان دان فوديو .

المبحث الأول: الأوضاع العامة بأقاليم تلمسان، توات والسودان الغربي في عصر المغيلي:

إن ظروف عصر المغيلي تحمل عدة مستجدات على الساحة الإسلامية التي شهدت سقوط آخر قلاع الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية وتعرض سواحل المغرب الإسلامي إلى حملات إسبانية وبرتغالية ذات طابع صليبي حاقد، هذا وكان الصراع على أشُده بين الدويلات الثلاث بالمغرب حول إرث الموحدين، وتكاد تكون نفس ظروف الضعف والانكماش تسود في المناطق الجنوبية الإسلامية كإقليم توات الصحراوي والسودان الغربي جنوب الصحراء.

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية بأقاليم تلمسان، توات والسودان الغربي في عصر المغيلي:

تلمسان: المغيلي ينتسب إلى قبيلة مغيلة بضواحي تلمسان وقد عاصر النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي، وهو في ريعان شبابه أنكر على الحكام المسلمين خروجهم عن التقاليد الإسلامية في الحكم و الإدارة، وكانت تلمسان في عصره تخضع للزيانيين وقد لاحظ عليهم خلال إقامته بها واشتغاله بالتدريس التفسخ والإنحلال وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد، وإستسلام الحكام لليهود والأسبان على حساب مصالح المجتمع الإسلامي ومبادئه[1].

وتجدر الإشارة إلى حادثة قامت بتلمسان اكتشف فيها الملك الزياني" المتوكل بالله " مؤامرة لإغتياله، فاتهم علماء بلاده بأن لهم يدا في المؤامرة وكان من بينهم الإمام أحمد بن يحي الونشريسي الّذي صّودرت أمواله وهدمت داره في حدود عام 874هـ- 1469م[2]، وقد كانت تربطه مع المغيلي علاقة وطيدة، هذا وكان المغيلي من أولئك القلائل الذين اشتهروا بمواجهة انحراف المسؤولين بصراحة حادة، فقد نبّه بخطر البرتغال و الأسبان وبما ستؤول إليه الأوضاع

1- مبروك مقدم: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية**، مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 42 .

2- أحمد بابا التمبكتي: **نيل الابتهاج في تطريز الديباج**،ج1و2، ط1، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م ، ص 135.

ببلدان المغرب عامة[1]، فكانوا فقد احتلوا المرسى الكبير في سنة 1505م ثم وهران سنة 1509م و بجاية 1510م وهدموا العديد من معالمها على غرار قصر الكوكب والمسجد الأعظم، في هاته الظروف السيئة للغاية كان ظهور الأتراك بالمغرب الأوسط، وهذا تقريبا بعد 30 سنة من تحدث المغيلي عن هاته الأحداث بإستقرائه للواقع الاسلامي واستشرافه لمستقبله، وكذا مغادرته لتلمسان وانتقاله لتوات ثم إلى بلاد السودان الغربي جنوب الصحراء.[2]

توات: إذن في خضم هاته البيئة المضطربة لم يكن للمغيلي الّذي لم تكن تسمح له لا نفسيته ولا علمه بأن يرضى بهذه الحالة، ولأنه أكثر شوقا للإصلاح و كذلك للتعلم غادر تلمسان في ظروف تّوصف بالغامضة، وقدم المغيلي إلى توات وأوضاعها ليست بأحسن حال من أوضاع المغرب الأوسط شمالا، إلا أنه يمكن القول بأن طبيعة المغيلي الصوفية، ورغبته في نشر العلم والدعوة، وكذا استجابته لشيخه عبد الرحمن الثعالبي عندما نصحه" **بأن لا يعاشر أهل سفاهة ولا أن يستوطن مكان إهانة** "، جعلت منه ينتقل إلى أرض توات والتي كانت بيئة خصبة للنشاط[3].

وقد ترافق وصول المغيلي لإقليم توات مع أواخر الدولة المرينية والزيانية، فوجد توات يقتصر حكمها على شيوخ بلدانها وقد كان قصر "**تمنطيط**"[4] أشهر قصور الإقليم حيث كان يّعد العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية لتوات[5]، الذي كان عبارة عن إمارات صحراوية صغيرة يسيطر

1- عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 154.

2- خير الدين شترة: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، ج2، الجامعة الافريقية، الجزائر، 2010م، ص 275.

3- عبد الله مقلاتي، محفوظ رموم: **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، دار الشروق، الجزائر، 2009م، ص 72.

4- ظلت "**تمنطيط**" عاصمة إقليم توات عبر التاريخ حتى القرن 17م حيث انتقلت إلى مدينة أدرار كبرى مدن مقاطعة "**تيمي**"، وقد تم ذلك بعد صراع طويل بين قبائل "**أولاد أحمد**" بتيمي وقبائل "**أولاد سلم واولاد يحي** " بتمنطيط، أنظر محمود فرج محمود: **إقليم توات خلال القرنين 18م و19م**، الديوان الجامعي الجزائري، الجزائر، 1984م، ص 7 .

على الحياة العامة فيها كبار التجار والأثرياء وذو الجاه والنفوذ الديني أو الاقتصادي، بحيث آلت السلطة لرؤساء القبائل و الزعماء؛ الّذين حكموا توات طبقا للأعراف والتقاليد التي لا تتعارض وأصول الشريعة في مجمل الأحوال، فكانت تعاليم قاضي الجماعة ملزمة لكل فرد تواتي، وبذلك حافظت توات على خصوصيتها السياسية كونها تستمد حكمها من خلال ظروفها المحلية وحسب معطياتها الخاصة، فشيخ القبيلة أو القصر أو المقاطعة يشرف على الأمور الحياتية وحتى الدينية ويتمتع بنفوذ واسع داخل قصره أو قبيلته أو مقاطعته يمكنه من تطبيق الأحكام بإرياحية تامة[1].

ويّعتبر النشاط التجاري أكثر الأنشطة الاقتصادية إقبالا من أهل توات، وذلك بحكم الموقع الجغرافي الذي كان طريق ومحطة من محطات طرق القوافل التجارية الصحراوية المتجهة من أقصى الشمال؛ من المدن الكبرى على غرار الجزائر وتلمسان وفاس... نحو أعماق الصحراء، وبلاد السُودان خاصة مدينة تمبكتوا[2]، وفي هذا الصدد يذكر حسن الوزان الذي وصل المنطقة خلال القرن 15م بعض الملامح الاقتصادية لتوات حيث يقول: "**وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم إلى بلاد السودان، وهنا مجمَع القوافل لأن تجار البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعا** "[3].

إذن لقد إحتلت توات مكانة أساسية في طريق القوافل التجارية المتجهة من شمال بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي نظراً لموقعها المتوسط في الصحراء، وازدادت أهميتها منذ القرن 8هـ-13م[4]، لِتُعَزز تلك الطرق خلال القرن الخامس عشر ميلادي والتي كان ينقل عبرها الكثير من السلع المختلفة؛ منها الأسلحة والأحصنة والتمور والحناء والملح إلى السودان الغربي ويستقبل

1- أحمد حمدي: **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره (870-909/1465هـ-1503م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الأسلامية، اشراف د.عبد المجيد بن نعيمة، قسم الحضارة الأسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الأسلامية، جامعة وهران، الموسم الجامعي 1999- 2000م، ص 53 .

2- خير الدين شترة: المرجع السابق، ص 277.

3- حسن بن محمد الوزان: **وصف افريقيا**، ج2، ط2، (تر) محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص 134.

4- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 57.

منه العبيد والذهب والنحاس والقطن وغيرها، وهذا ما جعل من التجار التواتيين يستخدمون وكلاء لهم في جميع المناطق التجارية خصوصا ببلاد السودان[1]، وقد اعتمدت تجارة توات ليس على المنتجات القادمة من الشمال فقط، بل حتى على الصناعات المحلية اليدوية من الأحذية الجلدية والأفرشة والسروج والنسيج والصوف والبرانس والإزرات، ناهيك عن أدوات الفلاحة والسفر والأدوات الخشبية المأخوذة من النخيل، فضلا عن محلات كثيرة وأسواق عديدة للعطور والتوابل وتجارة الذهب التي سيْطر عليها اليهود[2].

ولعل الرسالة التي بعثها أمير "برنو" إلى علماء توات في حدود عام 1447م يشكو لهم فيها من قلة توارد قوافل تجار توات على بلاده ورجائه أن يدفع الشيوخ بتجارة توات إلى بلاده[3]، لتحمل دليل واضح على مدى أهمية توات الاقتصادية لغيره من أقاليم السودان خاصة الغربي، هذا الأخير الذي أمتد الترابط بينه وبين إقليم توات ليتعدىَ الجانب الاقتصادي والتجاري وصولا إلى الجانب الديني والثقافي، والذي ساهم فيه جملة من العلماء والمصلحين من بين أشهرهم عملا وأكثرهم تأثيرا في السودان الغربي مجتمعات وحكام، دولا و تاريخا، نجد الشيخ الإمام كما يُعَرف بالسودان الغربي محمد بن عبد الكريم المغيلي، فكيف كانت أوضاع السودان الغربي السياسية والاقتصادية لمَا وصلها المغيلي؟ .

السودان الغربي: إن المتتبع لتاريخ بلاد السودان الغربي السياسي لا يُمكن أبدا أن يغفل الدور الذي لعبه المغيلي في هذه الرقعة الإسلامية من العالم خلال أواخر القرن 15م وبدايات القرن 16م؛ حيث بعد أن أستتب له الأمر في منطقة توات، أتجه صوب بلاد السودان الغربي جنوب الصحراء والتي كانت تتميز بواقع سياسي واقتصادي خاص، إذ عرفت تواجد عدة إمارات وممالك

1- عبد الحميد بكري: **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9الى 14هـ**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005م، ص37.

2- نفس المرجع، ص 38.

3- عبد القادر زبادية: "**الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وشهرته خارج الجزائر**"، **أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار**"، 3-4 ماي 1985م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م، ص 50.

إسلامية في بلاد السودان الغربي؛ ومن أبرزها نجد إمارات بلاد **الهوسا** ومملكة **سنغاي** هاته الأخيرة التي شهدت تحولات سياسية كبيرة بوصول الأسقيين إلى الحكم عام 1493م.[1]

إن أول بلاد نزل بها المغيلي في غرب إفريقيا هي بلاد "أصير" عند ابن مريم أو بلاد "أهر" عند أحمد بابا أو بلاد "كاهر" كما يسميها ابن بطوطة، وهذا ما يدفعنا لتصور الطريق الذي سلكه المغيلي بين توات و تكدة[2]، هاته الأخيرة التي توضح جملة من الروايات، وكذا من التحليلات التاريخية أن المغيلي نزل بها؛ وهي تتبع النيجر حاليا وأستقر بها وقتا اشتغل خلاله بالتدريس و الإرشاد، وأشتهر فيها كعالم مقاوم للبدع والخرافات[3]، وكان قد" **اجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به ثم دخل بلاد 'كانو' و'كشن' من بلاد السودان واجتمع بصاحب كانو، واستفاد عليه في أمور السلطنة، وحضّه على إتباع الشرع، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقرر لهم قواعد الشرع** " [4].

إذن وجد المغيلي إمارات إسلامية مبعثرة سياسيا وجغرافيا وغير منسجمة دينيا مع الشرع والدين الإسلامي، والذي أختلط بالكثير من العادات الإفريقية المتوارثة من فترة ما قبل الإسلام من أبرزها مملكة الهوسا والتي تشمل حاليا شمال نيجيريا وجزءاً من جمهورية النيجر؛ حيث كانت تقع

1- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 20.

2- نور الدين حاج أحمد: **المنهج الدعوي للإمام المغيلي**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، اشراف د.مولود سعادة، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلام، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، الموسم الجامعي 2010-2011م، ص 51.

3- عبد الله مقلاتي: "**علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي:العلاقات الثقافية وأبعادها الحضارية**"، "**الملتقى الأول المشترك بين جامعة أدرار وجامعة تيارت "العلاقات الحضارية بين اقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي**"، أبريل 2009م، جامعة أدرار، الجزائر، ص 211.

4- أحمد بابا التمبكتي: المصدر السابق، ص 577 .

في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي وسنغاي غرباً وسلطنة الكانم والبرنو شرقاً، بينما يحدها من الشّمال إقليم أهير[1] والصحراء الكبرى ومن الجنوب القسم الجنوبي لنيجيريا حاليا .

وقد تواجدت ببلاد الهاوسا ما أُصطُلح عليه تاريخيا **بإمارات الهوسا**[2]، كما يُوضح الأستاذ عبد الله الألوري؛ أن أهم هاته الإمارات السبع هي إمارة كانو التي شهدت خلال القرن التاسع هجري 09هـ، الخامس عشر ميلادي 15م حركة إصلاحية قام بها الأمير عبد الله بن محمد بن يعقوب الشهير بمحمد رونفا (867هـ- 1463م/904هـ- 1499م)والذي حاول إقامة إمارة على أسس الدين الإسلامي في بلاد الهاوسا بما جعله يتصل بالعلماء[3]، ومن أبرزهم نجد الإمام المغيلي، والذي بذل كل ما في استطاعته من أجل بعث حركة علمية وإصلاحية بمنطقة السودان الغربي عموما، وإمارة كانو خصوصا لما كان قد وصلها في حدود سنة 1490، وأسس بها مدرسة ومسجد الكرامة رغم أنه لم يكن راضيا عن الطريقة التي اتبعها الملوك والأمراء في إدارة شؤون البلاد السودانية جنوب الصحراء[4]، كما أن ممالك الهوسا خلال هاته الفترة عانت من الظروف السياسية العصبية التي كانت سائدة في السودان الغربي، حيث كانت أرضاً مفتوحة للصراع الدائر في تلك الأنحاء بين "سنغاي" و "برنو" من أجل ضمها وذلك في إطار الحركة الطبيعية لصراع البقاء والجغرافيا[5].

1- إقليم **أهير أوالأهير** يمتد بين سكوتو إقليم النيجر جنوبا وتوات و غات و غدامس من الشمال والشرق، سكان الإقليم خليط بين الطوارق والسّود، إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998م ، ص 192.

2- آدم عبد الله الألوري: **موجز تاريخ نيجيريا**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 126.

3- نفس المرجع، ص 82.

4- آدم عبد الله الألوري: "محاضرة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي"، أعمال المهرجان الأول للتعريف بمنطقة أدرار، المرجع السابق، ص 26.

5- عبد الفتاح الغنيمي: **حركة المد الاسلامي في غرب افريقيا**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص 151.

أما بالنسبة **لمملكة سنغاي** فقد تأسست وتوسعت على حساب دولة مالي[1](1225-1488م)، حيث تولت دولة سنغاي زعامة المنطقة سياسيا وحضاريا خلال عهد الأسقيين الذين وصلوا بالمملكة إلى حد بعيد من القوة والعظمة، وقد اشتقت تسمية هذه الدولة من إسم القبيلة التي تنتسب إليها وهي قبيلة سنغاي وعاصمتها مدينة غاوا[2]، والتي أصبحت عاصمة سنغاي خلال القرن الحادي عشر ميلادي (1009م) بعد مدينة كوكيا على نهر النيجر، وقد حكم سنغاي في البداية عائلة ضياء والتي يُرجع كثير من الباحثين أصولها من منطقة طرابلس[3]، وقد أحتمل الدكتور عبد القادر زبايدية الأصول الأمازيغية لهاته العائلة، والتي حكمت حتى عام 1335م، ثم انتقل الحكم بعدها إلى عائلة سني والتي قادت سنغاي مابين (1335-1493م)، وعائلة سني هي فرع من عائلة ضياء السابقة؛ وقد استقلت بسنغاي بقيادة **علي كلن** حيث فصلها عن مالي نهائيا، وحكم من هذه الأسرة (18) أميرا قبل أن يُنهي حكمها الأسقيا الحاج محمد الكبير عقب وفاة سني علي عام 1493م ويبدأ حكم الأسقيين لمملكة سنغاي .

ويُعتبر تسلم الأسقيا محمد عرش سنغاي بداية عهد انتظام المملكة وبداية حكم التكروريين في البلاد[4]، وهي الفترة التي جاء فيها المغيلي إلى مملكة سنغاي، مما يوحي لنا أن المغيلي ساهم في بناء المنظومة السياسية والتشريعية لهاته المملكة منذ بداياتها الأولى، والجدير بالذكر أن

1- تقع دولة مالي أو امبراطورية مالي بين بلاد بورنو شرقا والمحيط الاطلسي غربا، والصحراء الكبرى وبلدان المغرب الشمالية شمالا، وسكانها بدو رحل دخلوا الإسلام في وقت مبكر من القرن 11م، لها خمسة أقاليم يُمثلُ كل إقليم مملكة مستقلة وهي: **أولا** إقليم مالي وقاعدته بنبي أوبامبا، **ثانيا** إقليم صوصو إلى الغرب من مالي في كنياجا، **ثالثا** إقليم غانة غرب صوصو حتى المحيط الاطلسي، **رابعا** إقليم كوكيا شرق مالي حتى كومبي غرب نيجيريا الحالية، **خامسا** اقليم التكرور غرب إقليم كوكيا وقاعدته تكرور، بلغت امبرطورية مالي ذروتها في عهد منسي موسى (1307-1332م) كما بلغت نهاية ضعفها خلال القرنين 15- 16م لترثها مملكة السنغاي خلال القرن 17م، لمزيد من التفاصيل أنظر يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى القرن 20م**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001م، ص 29 وما بعدها.

2- عبد الله حاج أحمد: المرجع السابق، ص 40.

3- مبروك مقدم: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 8 و9 و10هـ-15 و16 و17م**، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 158.

4- عبد القادر زبايدية: المرجع السابق، ص.ص(20-21).

الأسقيين قد طال حكمهم لأكثر من قرن (1493-1598م) أداروا خلالها البلاد بتنظيم محكم، ووسعوا حدودها ونفوذها، وربطوا علاقات مع الدول الإسلامية المجاورة وخصوصًا مناطق شمال أفريقيا[1]، ليخلفهم خلال القرن 17م أُسرة "السوشو" الزنجية، ويُعتبر نهاية حكم سنغاي بداية مرحلة الانحطاط في كل بلدان الساحل، هذا وقد كان للمملكة عاصمتان الأولى إدارية وهي (غاوا) والثانية علمية وهي (تمبكتو) التي كان لها دور رائد في نشر الثقافة الإسلامية والعربية بالسودان وذلك زيادة على كونها ملتقى تجارة الشمال مع تجارة بلاد السودان[2]، حيث مثلت العلاقات الاقتصادية إضافة، بل جزاً لا يتجزأ من سلسلة العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها، بل كان ظهور الإسلام في السودان مصاحب لذلك النشاط الاقتصادي نفسه، وهو ما يجعل من الأهمية بمكان ومن الضرورة الموضوعية تناول تلك العلاقات الاقتصادية وتأثيراتها على المجالات الأخرى خاصة على عهد تواجد المغيلي بإمارات وممالك السودان الغربي، حتى يتأتى لنا فهماً أكثر عمقاً، وأنضج تحليلا لطبيعة البيئة التي نشط بها المغيلي، ومارس خلالها حركته الإصلاحية والبنائية للدولة والمجتمع سواء أكان ذلك في بيئة الثورة "**توات**" أو بيئة الإصلاح والتوجيه "**ممالك السودان الغربي**".

ثم إنه من اللافت للنظر أن الدعوة الإسلامية ونشر العقيدة الصحيحة ببلاد السودان لم تكن حكرا على الدعاة والعلماء فقط، بل إن الدعاة من المسلمين التجار كسروا طوق العزلة الإفريقية حيث يقول جوزيف كيوك(Joseph cuoq): "...لقد سلك الإسلام ، بشكل طبيعي وهادئ، طرق القوافل وحلّ معها في محطاتها وفي مراكز التجارة"[3]، وقد كان لهذا النشاط التجاري أثراً واضحا في ظهور جملة من المدن على طرق القوافل والتي أخذت طابع إسلامي من حيث بناؤها ومساجدها وتخطيطها على غرار تمبكتو، التي ارتبطت بأقاليم شمال الصحراء[4] كما أسلفنا سابقا.

1- عبد الله مقلاتي، محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 51.

2- عبد القادر زبايدية: المرجع السابق، ص 24 .

3- الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص 14 .

4- نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 140.

هذا ويوضح ابن خلدون أنه خلال القرن 14م-15م ازدادت أهمية توات في بداية حكم الأسقيين ببلاد سنغاي حيث "**أصبح الطريق القديم** [وهو الذي يمتد من ناحية السوس إلى ولاتن] **قد أهمل لما صارت الأعراب من البادية السوسية يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيط** (توات)[1] "، لِيُعزَز دور التاجر التواتي في السودان الغربي، ويُترجم على شكل جالية كبيرة تقطن أهم مدن سنغاي، فقد وجد المغيلي لما زار مملكة سنغاي عام 1493م في تمبكتو و غاوا التواتيون يشكلون نسبة كبيرة بين التجار الأجانب والأئمة هناك[2]، وبالتالي لعبت التجارة دورا بارزا في ربط العلاقات وتحديد طابعها بين أقطار الصحراء، وهو ما تؤكده كتابات الأقدمين بدأ من ابن حوقل والبكري و الإدريسي وابن بطوطة، وصولا إلى ابن خلدون وحسن الوزان خلال القرن 15م، وكذا العياشي والورتلاني والمغيلي في رحلاتهم، وغيرهم كثير ممن سلطوا الضوء على عمق تلك العلاقات الصحراوية[3].

وعليه يمكن القول بأن السودان الغربي ارتبط بتوات خلال القرن 15م و16م في كافة المجالات وعلى جميع الأصعدة، غذته تلك المنفعة الاقتصادية والتجارية بحكم القرب الجغرافي الذي لم تكن الصحراء حائلا دون تطوره، بل على العكس تماما مثلت بيئة حقيقة ومجالا خصبا تُرجم أساسا في تنوع الطرق والمسالك الصحراوية؛ نذكر منها طريق؛ غدامس ↔توات↔تمبكتو، وطريق تافيلالت ↔ توات ↔ تمبكتو[4]، و هاته فقط الطرق التي لاقت رواجا خلال النصف الثاني من القرن 15م دون غيرها بعد أن فقدت الطرق[5] الأخرى جزءا من أهميتها، وهكذا يتضح لنا جزءا من طبيعة الصورة السياسية والاقتصادية للبيئة التي نشط بها المغيلي وقبل ذلك للتي كوّن بها شخصيته وعلمه .

1- عبد الرحمن بن خلدون: <u>العرب وديوان المبتدأ والخبر</u>، ج6، بيروت، لبنان، 1967م، ص 118.

2- عبد القادر زبايدية: المرجع السابق، ص 31.

3- مبروك مقدم: <u>الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي</u>، مرجع سابق، ص 197.

4- محمد جرادي: "<u>الحالة الاقتصادية لإقليم توات في القرنين 11 و12هـ من خلال كتب النوازل</u>"، محاضرة خلال أعمال الملتقى المشترك، المرجع السابق، ص337 .

5- لمزيد من التفصيل حول الطرق التجارية الصحراوية ينظر على سبيل المثال، يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص.ص(42-41) وما بعدها، كذلك مبروك مقدم: المرجع السابق، ص.ص (208-201).

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية لأقاليم تلمسان، توات والسودان الغربي في عصر المغيلي:

تُمثل البيئة الثقافية والاجتماعية إضافة إلى المعطى الاقتصادي والسياسي كُلاً متراكما وعوامل مشتركة في بناء شخصية الفرد ناهيك عن العالم، الذي يتفاعل في أطار تلك البيئة إيجابا وسلبا، خاصة المعطى الثقافي والاجتماعي، وفي حالة عالم مصلح وثائر على الأوضاع على غرار المغيلي مثلت هاته البيئة دافعا أساسيا في توجيه إصلاحه وتجديد أفكاره، دون أن نغفل تلك التناقضات والاختلافات بين بيئة مولد المغيلي بتلمسان وبيئة نشاطه الثوري بتوات وبيئة نشاطه الدعوي الإصلاحي بالسودان الغربي إن صَحَ تقسيم تلك البيئات على هذا المنوال، مع ما لديها من قواسم مشتركة كذلك .

تلمسان: تعتبر تلمسان من بين أهم مراكز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط خلال العهد الإسلامي، فهي أحدى أهم مدنه[1]، ذلك أنها استقطبت جملة من المؤثرات الفكرية والاجتماعية جعلت من تلمسان قطبا حضاريا، هذا وقد استغرقت زمنا ليس باليسير وعوامل تفاعل فيها الموقع الجغرافي و المفرز السياسي وكذا النمو العمراني ناهيك عن التبادل التجاري والثقافي والعلاقات الاجتماعية والهجرات البشرية بما فيها هجرات العلماء وطلاب العلم[2]؛ من أجل بناء تلك البيئة الثقافية والاجتماعية النشطة بتلمسان.

وفي العهد الزياني بداية من حكم يغمرا سن بن زيان عبد الواد 1235م وحتى حكم المتوكل بالله زمن المغيلي، وعلى الرغم من الحياة السياسية المضطربة التي عاشتها الدولة الزيانية وخاصة عاصمتها تلمسان من فتن داخلية وحملات مرينية و حفصية، فأنها لم تخلوا من النشاط الفكري والعلمي الذي تضافرت في بروزه جملة من العوامل[3]، بحيث تُعتبر الدولة الزيانية من بين الدول

1- محمود السيد: المغرب العربي(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا)،مؤسسة الشهاب، 2004، ص 141.

2- خير الدين شترة: المرجع السابق، ج1، ص 79.

3- مصطفى أبو ضيف، أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 151.

التي اتبعت سياسة مشجعة للعلوم بنوعيها النقلية والعقلية[1]، فقد عُرِف على ملوك بني عبد الواد جهودهم في نصرة العلم، ورعاية الفنون والآداب والعلوم الشرعية والمذهب المالكي[2]، بحيث لما كان عهد المغيلي كان المذهب أهل السنة عقائديا و المالكي فقهيا، لِتَتعزز الحركة الصوفية بين طبقات الشعب بما فيها الفقهاء، بعد أن كانت قد ظهرت أيام الموحدين[3]، كما تميزت الحركة الثقافية والعلمية بتلمسان بدينامكية نشطة؛ حيث دأب طُلاب تلمسان على الرحلات العلمية لإتمام تعليمهم بالعواصم الإسلامية؛ كغرناطة وفاس و تونس وكذا القاهرة ودمشق، وحتى بغداد والحرمين الشريفين، علاوة على التنقل داخل المغرب الأوسط نفسه، وفي هذا يقول ابن خلدون:" **إن الرحلة في طلب العلوم ولِقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ....، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها**"[4]، فكانت الرحلة إلى طلب العلم شرطا من شروط التحصيل مما أنتج في الأخير كوكبة من الأساتذة والعلماء تميزوا بغزارة العلم والتحصيل أمثال محمد بن يحي الإدريسي التلمساني وإبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي وغيرهم كثير[5].

والشيخ المغيلي لم يخرج عن هذا الوضع المألوف، حيث ارتحل لطلب العلم والتعلم، بعدما تلقى العلم عن علماء تلمسان منهم محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت875هـ) وغيره، حيث انتقل إلى بجاية ثم الجزائر وأخذ عن صاحب **'الجواهر الحسان'** عبد الرحمن الثعالبي، ويُقال أنه اخذ عنه الطريقة القادرية، وهو الذي أشار إليه الذهاب إلى توات[6]،

1- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 226.

2- ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا (من الفتح حتى اليوم)**، (تر)عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي، ط 32، لبنان، 1987م، ص 251.

3- مبروك مقدم، المرجع السابق، ص 76.

4- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 437.

5- ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص 67.

6- إبراهيم بلبالي: "**التأثير الثقافي الفكري لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي- نازلة يهود توات أنموذج-**"، الملتقى الوطني المشترك، المرجع سابق، ص 228.

للأسباب التي يلخصها الباحث مقدم مبروك في سيطرة اليهود على قصور توات، وكذا ليبتعد المغيلي عن الصراعات بتلمسان أيام المتوكل ثّم لتنظيم حياة الناس الاقتصادية بالقصور.[1]

ثّم إن المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها كان لها دورا بارزا في تنشيط الحركة الفكرية بتلمسان، وأولاها بني زيان أهمية كبرى، والملاحظ لنظام الوقف يفهم مدى حرص الزيانيين على الحركة العلمية، وكانت معظم الأوقاف تتواجد بالعاصمة الزيانية تلمسان[2]، ونظرا لموقعها الجغرافي فقد لعبت دورا في توطيد العلاقات بينها وبين الدول المجاورة برغم الصراعات السياسية[3]، وهذا ما جعلها ترتبط بالممالك الإسلامية في السودان خاصة الغربي منه مثل مملكة كانم وبرنو وسنغاي وقبلها مالي، وقد ارتبطت تلمسان مع إقليم توات بعلاقات ثقافية وحضارية غاية في التعقد، وتّمثل النوازل التواتية – والتي من بينها نازلة اليهود بتوات– من أهم الملامح المعبرة عن تلك العلاقات؛ فالفتاوى التلمسانية كانت تحظى بتوات بالأهمية المطلقة والخاصة[4].

تلك هي البيئة التي ترعرع بها المغيلي وأخذ مشاربه العلمية الأولى منها لكن ما يجب الإشارة إليه هو أن أوضاع العّلماء بالدولة الزيانية تغيرت في أواخرها خاصة أيام 'المتوكل بالله' عنها في أول الدولة بحيث تعرَض العّلماء لشيءٍ من الضغط والترهيب إذا ما كانت لهم أصوات معادية أو بالأحرى مخالِفة للوضع العام للمجتمع والدولة، وهو ما تعرَض له المغيلي.

توات: أما بالنسبة للحياة الثقافية والاجتماعية بتوات فتسكُت الكثير من المراجع و الأبحاث حول طبيعة هاته الأوضاع قبل القرن 7هـ-13م، ويصِفُها البعض بالانحطاط الثقافي والديني والتي كانت آثاره واضحة حتى في فترة التجديد الفكري خلال القرن 15م، والتي كان من رّوادها أبو يحي محمد الميناري، والشيخ يحي بن يدير، وكذلك عبد الله العصنوني والشيخ المغيلي وغيرهم،

1- مبروك مقدم: المرجع السابق، ص 78.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري- ومن السادس عشر إلى العشرون ميلادي،ج 2، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص 24.

3- عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص 100 .

4- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 57.

وقد أدى ضعف الوازع الديني إلى جُملة من الصراعات المحلية يذكر منها الشيخ باي شيئاً فيقول:" **شهِدت توات في القرن 13م هجوم أهل أقبور على تمنطيط وفي القرن 14م هجوم أولاد طالب على تاورير وقصر عيسى والشارف وتيط**"[1]؛ وما هي إلا أمثلة من جملة صراعات ونزاعات طبعت الوضع التواتي قبل القرن 15م .

إلا أن الملاحظ لتاريخ توات يرى هاته الصورة تتبدل خلال القرن 15م بحيث أصبحت توات كغيرها من مناطق المغرب الأوسط تعُج بحركة أدبية واجتماعية نشطة وتسجل المخطوطات تلك الروح الفكرية العالية خلال هذا العصر[2]، فلقد ساهم سكان القصور التواتية في الإشعاع الحضاري الجزائري خلال أيام المغيلي بشكل ملحوظ سجَله المؤرخون من عربٍ وأجانب، فصاحب **'تيل الابتهاج'** العالم أحمد بابا يذكُر جمعا من علماء توات ببلاد التكرور يدرِسون ويفيدون، لِيلحق به المؤرخ الكبير عبد الرحمن السعدي وينقل صورة لامعة عن مساهمة علماء توات في الثقافة العربية ببلاد السودان، ويُوَضح القاضي محمود كعت في كتابه **'الفتّاش'** ذلك الدور الفكري والعلمي للتواتيين في كل من تمبكتو وكانو و جني وغيرها من مناطق السودان الغربي[3]، ثُم إن محمد البرتلي مؤلف كتاب **'الفتح الشكور'** يُترجم لأكثر من أربعين شخصية تواتية كان لها حجم من التأثير والعمل الإصلاحي، الفقهي والاجتماعي ببلاد التكرور[4].

وقد تدعم دور أولئك العلماء بنشاط مؤسسي ومنظم تمثل أساسا بالزوايا، والتي عمِلت على بث الروح العلمية في نفوس سكان توات، كما قامت بدور اجتماعي كبير سواء على الصعيد المحلي بمساعدتها الفقراء والمحتاجين، أو على صعيد التواصل مع الأقطار الأخرى بإيوائها

1- محمد باي بلعالم: "**التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات**"، أعمال الملتقى الثقافي الأول للتعريف بمنطقة توات، مرجع سابق، ص 45.

2- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 66.

3- المهدي بوعبدلي: "**أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الامام المغيلي بها في قضية يهود توات**"، مقال بمجلة **النخلة**، مجلة ثقافية علمية تصدرها مجموعة القروط، أدرار، (ع) 7، سبتمبر 2011، ص 19.

4- ابن عبد الله الطالب محمد البرتلي: **الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور**، (تح) الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ص97.

للمسافرين والتجار ومن بين أهم الزوايا خلال القرن 15م بتوات نجد زاوية مولاي سليمان الإدريسي بأولاد أنقال **بتيمي**، وكذلك زاوية أبي يحيى الميناري **بتمنطيط** وقد كان مقدمها عبد الله بن أبي بكر العصنوني، إضافة إلى زاوية محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي بمجرد وصوله إلى توات أدرك أهمية إقامة الزاوية لِما يحملهُ العمل داخلها من تنظيم وتأطير للطلبة والعامة وقد كان مقرها بقصر **بوعلي** حيث يُرجح أنه أسسها عام 1480م[1].

ولَما كان لِعلماء توات دور سبَاق في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى الشعوب الإفريقية، ولَما كانت الزيارات العلمية لبلاد السودان من أهم ما يّحرك العالم التواتي فقد انعكس الازدهار الثقافي والفكري بتوات على السودان الغربي مما أدى إلى نضج وقوة الممالك الإسلامية التي عرفتها إفريقيا الغربية، وذلك كنتيجة حتمية وانعكاس صحي لذلك الارتباط بين أقطار شمال الصحراء وجنوبها[2] .

لكن ما يُثير التساؤل ويسترعي ألانتباه هو ذلك التناقض الذي يحمله الوضع التواتي خلال القرن 15م، فلَما وصل المغيلي إلى توات في حدود عام 856هـ-1452م[3]حسب ما ترجحه تحليلات جملة من المراجع والتسلسل الزمني للأحداث التاريخية منذ قدومه، كانت هناك تلك الازدواجية إن صَح التعبير؛ فتوات بإجماع المؤرخين خلال هاته الفترة تشهدُ طفرة علمية وثقافية وحتى اقتصادية هائلة لكن الوجه الآخر للوضع الاجتماعي والديني كذلك يتمثّل في تجاوز اليهود بتوات للحدود الشرعية، واستعلائهم على المسلمين واستحكامهم للثروة والنفوذ[4]، ولعل حادثة

1- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص.ص (68،69).

2- عبد الله مقلاتي، محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 60.

3- تجدر الإشارة إلى أن هناك خلاف حول سنة قدوم المغيلي إلى توات فيقول الشيخ بن المصطفى الرقادي أنه نزل بمنطقة قورارة عام **1452**م ويرجح الشيخ باي بلعالم عام **1466**م، ولعله يقصد به تاريخ دخوله لتمنطيط بعد قورارة، كما يذكر صاحب **القول البسيط في أخبار تمنطيط** محمد الطيب عبد الرحيم 'بابا حيدة' أن دخوله يوافق عام **1478**م، للتفصيل أنظر فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 14، وكذلك مبروك مقدم: الأمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، المرجع السابق، ص 43.

4- عبد الله حاج أحمد: **الإمام المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي خلال القرن التاسع هجري = الخامس عشر ميلادي**، مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس في التاريخ، اشراف أ.مبارك جعفري، معهد العلوم =

اليهودي الذي ظلَ يصَلي بالناس مدة 40 سنة في مسجد عمر بن يوسف بضواحي تمنطيط لَتُّمثِل نموذجاً لتلك الحالة الاجتماعية والدينية التي وصل إليها اليهود بتوات[1]؛والشاهد هنا ليس استعراض النازلة اليهودية بتوات فقد تحدثت عنها كثير من المصادر والمراجع، وإنما محاولة فهم مدى التعقد في الوضع التواتي مابين ازدهار علمي وفي مجال العلوم الدينية خصوصا، ومابين الوضع اليهودي بتوات والذي تفاعلت فيه عِدَة عوامل دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية، والتي يتضح جليا أن المغيلي وفي إطار سياسته الشرعية وفكره في بناء السلطة والدولة الإسلامية؛ قد فهم تلك الأوضاع و الخلفيات جيدا وقام باستقرائها بفقه الواقع والواجب، وهو ما دفعه أن يستبيح دماء اليهودي بتوات مادام قد استباح أحكام شريعة الإسلام[2].

السودان الغربي: إن هذا المنهج الدعوي لدى المغيلي هو نفسه الذي حرَكه في ظل الأوضاع الاجتماعية والثقافية والدينية التي شهدتها الممالك الإسلامية بالسودان الغربي، والتي من بين أهمها كما قلنا ممالك الهوسا[3]، حيث كان دخول المغيلي لهاته المناطق مع حديث عهدها بالإسلام ، وهو المناخ الذي جسد المغيلي أفكاره الإصلاحية فيه، وقد ساعده في ذلك تقبل الأمراء لدعوته والمساهمة في إنجاحها[4]، هؤلاء الملوك الذين أرادوا إنشاء دول إسلامية ذو شأن في غرب إفريقيا تتمكن من القضاء على النظام القبلي السائد بين العشيرة والقرية والأسرة، بل وبين الحكام والمحكومين[5]، تلك هي الأوضاع التي فهمها المغيلي جيدا، وبالتالي أنزل رسائله ومؤلفاته

=الاجتماعية والإنسانية ، المركز الجامعي بالوادي ،الموسم الجامعي 2010-2011م، ص 28.

1- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 115.

2- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، (تح) عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ص 40.

3- مصطلح الهوسا يُطلق على الذين يتكلمون بلغة الهوسا، إذ ليس هناك عرق يحمل هذا الإسم، كما تّرجح أغلب الأقوال أن شعوب الهوسا خليط مابين الأجناس السودانية المحلية بغرب أفريقيا وبعض قبائل البربر الثوارق، وهم حديثو عهد بالإسلام جلهم كان وثني حيث ظهر الإسلام خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر ميلادي وبالتحديد في عهد الحاكم **ماجي**، أنظر زاهر رياض: **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى**، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة، مصر ، 1968م، ص 287.

4- عبد الله حاج أحمد: المرجع السابق، ص 38.

5- فيج،جي،دي: **تاريخ غرب أفريقيا** ، (تر) و(تع) يوسف نصر، دار المعارف، 1982م، ص 74.

الإصلاحية على ضوئها؛ بما يخدم إصلاح ما لصق بإسلام الأفارقة من شوائب على غرار تعدد الزوجات فوق العدد الشرعي وكشف العورات وممارسة الطقوس الوثنية، وغيرها من العادات مما كان منتشرا ببلاد السودان سواء على المستوى الشعبي أو على مستوى السلاطين والأمراء.

ولكن برغم هاته الأوضاع الاجتماعية والثقافية ببلاد السودان، إلا أنه خلال القرن 15م و16م بلغ ازدهار الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي جنوب الصحراء مرحلة الأوج،عبَّرت عنها رسالة أجوبة المغيلي وأسئلة الأسقيا، فلخصت صورة انتشار المبادئ الإسلامية وقبولها كمنهج حياة وإدارة بممالك السودان، وذلك من خلال حركة الإصلاح التي أتبعها الملوك والعلماء في خدمة الدين؛ بهدف القيام بمجتمع سوداني بطابع إسلامي صحيح[1]، هذا المجتمع الذي عاينه ابن بطوطة خلال زيارته للسودان الغربي مابين (1352-1354م) فقال عنه:" **فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق أو غاصب**"[2].

إذن عرف السودان الغربي أوضاع سياسة واقتصادية واجتماعية معقدة، وقد ترابطت بالعالم الإسلامي، خاصة الحواضر الشمالية للصحراء الكبرى وفي مقدمتها إقليم توات لقربه، تلك العلاقات التي تطورت بقيام ممالك إسلامية ينشدّ أمراءها الإصلاح، وتعمّقت بقدوم التواتيين جماعات مثل قبيلة كنتة أو فرادى مثل قدوم الشيخ المغيلي، والذي استثمر فكره الدعوي بطريقة أقل ما يكمن القول عنها أنها أكثر فعالية، وذلك باستهدافه للملوك تحقيقا لفكرة 'صلاح الرعية من صلاح الرّاعي'، وهو ما جعل من أعمال المغيلي أكثر رسوخا وتأثيرا في المجتمع السوداني في الأزمنة اللاحقة، وهذا ما نلاحظه في الدعوة الإصلاحية لعثمان دان فودي خلال القرن 18 .

1- حاج أحمد نور الدين: المرجع السابق، ص 162.

2- إبن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج2، (تح) محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003م، ص 346.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة لبلاد السودان الغربي في عصر عثمان دان فوديو

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية لبلاد السودان الغربي في عصر عثمان دان فوديو:

إن استقرائنا للتاريخ السياسي لغرب إفريقيا خلال عصر عثمان دان فوديو، أو القرنين الثامن والتاسع عشر، نجد سيطرة مملكة الفلاني[1] على المنطقة، وقد أختلف المؤرخون حول أصل هذا الشعب، فالمؤرخ الفرنسي ديبوا (Dubois) يرى أنهم انحدروا من أدرار شمال بلاد السنغال، (موريتانيا حاليا)أو أنهم اندفعوا إلى غرب إفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس واشتغلوا بالزراعة والرعي، أما المؤرخ البريطاني فيج (Fage) يرى أنهم نزحوا من حوض النيل وأنهم من أصل حامي وأنهم دخلوا بلاد السودان عن طريق مصر[2].

ومهما تعددت الآراء حول أصل هذا الشعب، إلا أن ما لا جدال حوله هو انتشارهم في كامل أرجاء السودان الغربي، وأنهم كانوا يدفعون الضرائب إلى الحكام المحليين، ومتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية في هذه الأرجاء، وعاشوا في ظل دولة مالي يمارسون حياتهم الخاصة، وكانت جماعة منهم قد انتقلت إلى بلاد الهوسا، منذ القرن الثامن عشر.

وقد انتشرت قبائل الفلان على وجه الخصوص في بلاد الهوسا[3]، وكانت هذه الكلمة تُطلق على الشعوب والقبائل الساكنة بين مملكتي برنو شرقا، والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر النيجر شرقا، ومن حدود مملكة اهير شمالا إلى حدود نهر بنوي جنوبا، وتطلق الهوسا أيضا على

1- الفلاني أو الفولي أو الفولانية: ويسمون أنفسهم الهوسا قدموا إلى المنطقة من الغرب في القرن الثالث عشر الميلادي، وكانوا مقسمين إلى البورجي يفلاني البقر وهم وثنيون، وفلاني الجيدا أي المدينة وهم مسلمون، انظر زاهر رياض: المرجع السابق، ص 290.

2- عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل: **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998م، ص 132.

3- الهوسا لغة منتشرة في نيجيريا والنيجر والكاميرون والسودان وغانا، وتدرس في 10 مؤسسات جامعية أوروبية، أنظر الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 34.

اللغة التي تتحدث بها هذه الشعوب والقبائل، فهي لغة كانت ولا تزال منتشرة على نطاق واسع في غربي إفريقيا كلها، وهي إحدى اللغات الإفريقية الرئيسية التي يتكلم بها المسلمون في إفريقيا، وانتشرت تلك الشعوب والقبائل التي تتكلم هذه اللغة في تلك المنطقة منذ زمن سحيق، ويقول المؤرخون أنها مجموعات زراعية تسكن في أرض خصبة، كل واحدة مستقلة عن الأخرى، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن تكاثرت وتجمعت ثم تطورت إلى ولايات، اشتهرت في التاريخ باسم ممالك الهوسا السبع وهي: كانو Kano وكاتيسينا Katsina وزازو Zazzau (زاريا حاليا) ودورا Daura وجوبير Gobir وغارون غاباس Garun Gabas وزنفرا Zanfara[1]، ويصف محمد بلو بن عثمان فوديو بلاد الهوسا في كتابه 'إنفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور' بقوله:"**بلد الهوسا يضم سبعة أقاليم لسانهم واحد وعلى كل إقليم أمير.... وهي بلاد ذات انهار وأشجار ورمال وجبال وأودية وغيال، يعمرها السودانيون من مماليك البربر من أهل برنو والفولانيون والتوارق**"[2].

والراجح أن حركة الجهاد الواسعة النطاق التي قادها الفلان بزعامة الشيخ عثمان بن فودي، قد انتظمت في معظم هذه ألأقاليم كما غطت الخلافة الإسلامية التي أقامها في كل أجزائها تقريبا، ورغم انتشار الإسلام في هذه الأقاليم، إلا أن الوثنية ظلت مسيطرة، وتبادل الحكام الوثنيون السلطة ومراكز القوة ، وكانت السلطة السياسية هي التي تحدد مصير كل إمارة، لأن الصراع كان يرتكز حول كيفية الوصول إلى حدود آمنة وثابتة، وبرزت قوة كل من إمارات كانو، كاتسينا كيبى، وظهرت زمفرا كأقوى الإمارات في القرن الثامن عشر وبسطت نفوذها على غيرها من الإمارات .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر استطاعت إمارة جوبير انتزاع السيادة من زمفرا، وتصارعت كل من كانو، كاتسينا، كيبى، وقد أدى هذا الصراع المستمر إلى استنزاف موارد

1- يكتنف الغموض نشأة هذه الولايات ووجود الفترة التي أخذتها، وكل ما يعرف هو وجود عدد من الولايات في القرن الحادي عشر الميلادي، ولا يخلو تاريخ نشأتها من أساطير لعدم الوثائق التاريخية، وتعرف باسم الولايات السبع Hausa Bakwai وبكوي Bakwai معناها سبعة بلغة الهوسا.

2- محمد بلو: إنفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، المغرب، 1998، ص.ص(67-72).

الإمارات، والتفكك وعدم الاستقرار وأدى ذلك إلى استنزاف الطاقات البشرية، ورغم نجاح جوبير في ضم إمارة زمفرا عام 1763م إلا أنها لم تتمكن من توحيد بقية الإمارات، أو تكوين دولة واحدة تشمل كل بلاد الهوسا[1].

ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ظهر الشيخ عثمان بن فودي فجمع شمل هذه القبائل الفولانية التي استولت على ولايات الهوسا كلها واحدة تلو الأخرى، وأصبحت تحت زعامته، وبالإضافة إلى الفلان كان السودان الغربي منقسما بين قوى قبلية أهمها، الطوارق الذين فرضوا نوعا من المضايقة على البلاد السودانية الواقعة نحو الجنوب. وتوغلوا بشكل كبير نحو أعماق بلاد السفانا، و استولوا على كاو سنة 1770 و هددوا تنبكتو.

أما الاوضاع الاقتصادية لبلاد السودان الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، يمكن القول أن هذه الأرض تُعد من أخصب الأراضي الإفريقية، وهذا للموقع الجغرافي الهام الذي تحتله، وتوفرها على مخزون مائي كبير جدا، فضلا عن امتلاك البلد لمعادن ثمينة وفي مقدمتها الذهب، وعليه فسنتطرق للأحوال الاقتصادية من خلال،الزراعة،والثروة الحيوانية والسمكية، والثروة المعدنية .

1الزراعة:

وتمثل مصدر الرزق الرئيسي لغالبية السكان، وذلك لوجود معظم الأقاليم المأهولة بالسكان في منطقة السفانا[2] التي تتميز بخصوبة التربة ووفرة المياه، وتتمركز الزراعة بشكل عام على

1- عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل: المرجع السابق ص.ص(133-134).

2- السافانا هي كلمة ذات أصل أسباني سابانا(Sabana)وتعني الحشائش والسافانا نوع من أنواع السهول الأرضية وهي تمتاز بعشبها الأصفر المائل للبني، وأشجارها قليلة، وتنتشر فيها مختلف الحيوانات، ويسود فيها المناخ المداري، وهي تقع على شمال أو جنوب خط الاستواء، ومن الدول الموجودة فيها الغابات، السودان، تشاد، النيجر، مالي، مناطق قليلة من موريتانيا، السنغال والمناطق التي حولها من غينيا وغينيا بيساو وغامبيا وبنين، ويفضل الكثير هذه المناطق للصيد والسفاري، وبسبب أن المساحة الأوسع من هذا الإقليم تقع في السودان أطلق عليه اسم الإقليم السوداني.

جانبي نهر النيجر، وهي عبارة عن مزارع للقطاع العام والخاص، فبالنسبة للقطاع الخاص كانت الزراعة مقسمة على حسب نوعية المزروع، فهناك مزارع خاصة بالأرز وأخرى بالشعير وهكذا ... وما يُؤكد ذلك، مزرعة الأرز بأرض بون التي منحها أسكيا محمد بان إلى شيخ يدرس طلاب العلم وفي المقابل كانت توجد مزارع لعامة الناس وهي عادة ما تكون صغيرة، كما كانت هناك نهضة زراعية في إقليم زكزاك حيث ينقسم إلى جزئين، جزء كله سهول، وجزء جبال، وتتوفر فيه المياه الكثيرة وينتج كميات معتبرة من الحبوب أما في إقليم جوبير فينتجُ الذرة، والأرز والفلاحون يستفيدون من فيضان النهر ،بقصد تسميد التربة[1].

2الثروة السمكية الحيوانية:

تمتلك بلاد السودان الغربي ثروة حيوانية كبيرة جدا، سواء الأليفة أو البرية ومن بين الحيوانات البرية نجد الفيلة التي تتواجد بكثرة في الغابات الكثيفة، يصطادونها الصيادون بالسهام ويقتلونها، ويستفيدون من لحومها، كما توجد لديهم الزرافة التي تعيش في الغابات والصحاري كما تذخر هذه المنطقة بالأُسود والقردة والبقر الوحشي والغزلان، أما الحيوانات الأليفة فقد أولاها سكان بلاد السودان الغربي عناية خاصة، فقد اهتموا بتربية الإبل، التي استفادوا من لحومها وألبانها في غذائهم، ووبرها وجلدها في صناعة بيوتهم ولباسهم، كما استخدموها في أسفارهم ونقل أمتعتهم .

كما اهتموا أيضا بتربية الأبقار والإكثار منها، وقد اختصت بذلك قبائل الفلان دون غيرها بهذه المهمة، كما توجد لديهم الحمير والبغال بكثرة إذ يستعملها السكان لقضاء الحاجيات داخل البلد[2]، أما الثروة السمكية فان نهر النيجر يذخرُ بثروة سمكية هائلة، كما تعد حرفة صيد الأسماك من الحرف المهمة في هذه المنطقة.

1- الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، ص 268.

2- نفس المرجع، ص 276.

3الصناعة :

عرفت الصناعة ازدهارا كبيرا في السودان الغربي، فقد كانت صناعة الخشب من الصناعات الواسعة الانتشار، إذ من خشب أشجار الأبنوس والخيزران، صنعوا الأبواب والنوافذ والأعمدة وأدوات الصيد والحرب من نشاب ودبابيس ورماح ونحوها، ومن الصناعات المهمة أيضا، صياغة الذهب والفضة، وكانت عائلات معروفة بهذه الحرفة عن طريق التوارث، كما انتشرت عندهم صناعة الحدادة، وقد برع السكان في صناعة الفخار فصنعوا منه أدوات للطبخ، وحفظ للحليب ،عرفت عندهم بالقدح ،كما كانت عندهم صناعة القرب التي تصنع عادة من جلد الماعز، ومن الصناعات التي كانت منتشرة صناعة الزرابي التي تصنع من أصواف الأغنام[1].

4المعادن:

عرفت منطقة السودان الغربي الكثير من المعادن النفيسة كالذهب والنحاس والملح والكحل وغيرهم، ويوجد الذهب في أعالي نهر النيجر الذي يجرفه معه عند انحداره السريع من مناطق الجبال العالية، حيث يتسع مجراه عند جاوا وتيمبكتو، كما يمكن الإشارة إلى أن الذهب استخدم كعملة في فترة الأسكيين، مكتوب على وجه منها 'عبيد الله'، وعلى الوجه الآخر' توكلنا على الله'، ومن أهم المعادن الثمينة في المنطقة معدن الملح والذي يعد من أهم المعادن من حيث الأهمية والقيمة، إذ كان يساوي وزنه ذهبا، ويتهافت عليه التجار لأنهم يجنوا منه أرباحا طائلة.

كما يمكن الإشارة إلى أن المجتمعات السودانية استعملت الأنظمة الاقتصادية العربية الإسلامية، ففرضت الزكاة ، وضرائب الأعشار، والخراج، واستخدمت نفس الموازين والمكاييل، ففي الموازين استعملت المثقال(70حبة قمح متوسط)، وفي المكاييل استعملت المد(0.75لتر) والصاع (3 لتر) والقنطار (100لتر)[2].

1- حسن الوزان: المصدر السابق، ص.ص (169- 172).

2- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 152.

المطلب الثاني :الأوضاع الاجتماعية والثقافية البلاد السودان الغربي خلال عصر عثمان فوديو:

يمكننا أن نوجز الوضع الثقافي للسودان الغربي خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر في النقاط التالية:

1) في هذه المرحلة اختلطت العقيدة الإسلامية بالطقوس الوثنية ،فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين في كثير من المناطق الأفريقية، فصار الدين الإسلامي غريبا بين السكان.
2) انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي، إذ ظهرت العديد من المراكز خلال هذه الفترة مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد وانتشارها ومن أهم هذه المراكز سوكوتو، وحمد الله، فكان لهذه المراكز الفضل الكبير في إنارة الطريق لسكان المنطقة وإبراز فكرة الجهاد في الإسلام ،وكان العلماء يتنقلون بينها إما للتدريس أو لتحصيل العلم .
3) انتشار الطرق الصوفية ومن أشهرها القادرية و التيجانية، إذ يرتبطُ معظم السودانيين بغرب إفريقيا برجال الدين بواسطة هذين الطريقتين التي كان لهما الفضل الكبير في نشر الإسلام بين الوثنيين، فبالنسبة للطريقة القادرية وعلى الرغم من ظهورها كطريقة صوفية في غرب إفريقيا خلال القرن السادس عشر الميلادي فإن تطورها الحقيقي وتوسعها المشهود لم يكن إلا خلال القرن التاسع عشر على يد قبائل الهوسا والفلان التي كانت تتمركز في حوض السنغال، وتعود الطريقة القادرية في أصلها إلى مؤسسها محيي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني[1]، ومن أبرز دعاتها في الغرب الإفريقي في القرن التاسع عشر الشيخ عثمان دان فوديو، وخلال هذه الفترة اتصفت القادرية بخصائص جمة من أهمها :

أ-سعة الانتشار في العالم الإسلامي وقوة النفوذ مقارنة بالطرق الصوفية الأخرى ولعل ذلك يرجع سببه إلى كفاءة أصحابها ومؤسسيها.

1- ولد في جيلاني بالعراق سنة 1077م الموافق ل470هـ واسمه أبو محمد عبد القادر الجيلاني ابن أبي صالح موسى بن عبد الله .

ب-انضمام الطبقة الثرية وأصحاب الجاه إليها مما جعلها تجد رواجا واتساعا هائلين في غرب إفريقيا.

ت-اعتمادها على الدعوة السلمية المعتمدة على الحجة القوية والبرهان الساطع، وتجنبت نشر الإسلام بالعنف والقتال والسيف.

أما الطريقة التيجانية[1] فبدأت حوالي سنة 1777 م، من مدينة فاس المغربية التي مكث فيها التجاني[2] حوالي 18 سنة داعيا إلى طريقته، وذاع صيته وانتشر خبره وصار له أتباع في كل من توات والسودان الغربي وتونس، وأنشأوا له في كل موطن زاوية يقوم عليها مُقدم، وكان أول ظهور للتيجانية في غرب إفريقيا على يد محمد الحفيظ بن مختار الملقب ببادي تلميذ التجاني، ثم انتشرت بعده في ربوع الغرب الإفريقي حيث امتدت إلى السنغال[3]، وقد تميزت الطريقة التيجانية عن غيرها من الطرق الصوفية الأخرى التي اكتسحت الغرب الإفريقي بما يلي :

أ- تميزها بتعاليمها البسيطة ومذهبها الواضح الذي كان يميل إلى التفكير الشعبي الساذج الذي كان يسود العالم الإسلامي آنذاك، فلم يكن اعتمادها على الحجج الدامغة والتعمق العلمي، وهذا ما جعل أتباعها من السواد الأعظم.

1- الطريقة التيجانية، إحدى الطرق الصوفية السنية، تنتسب إلى أبو العباس أحمد التيجاني وإسمه الكامل أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني (1815-1737م) المتوفى في سنة 1230هـ، وقد بدأت هذه الطريقة في بلدة بو سمغون بولاية البيض بالجزائر غير بعيد عن مسقط رأس مؤسسها عين ماضي بولاية الأغواط .

2- أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التجاني، الذي ولد عام1150 هـ الموافق لـ1737م في قرية عين ماضي بولاية الأغواط في الجزائر، وحفظ القرآن الكريم كما درس العلوم الشرعية وارتحل متنقلا بين فاس، وتلمسان، وتونس، والقاهرة ومكة، والمدينة المنورة، وبغداد.

3- أنظر بتفصيل عن انتشار الطريقة التجانية في السودان أحمد الازمي: الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مطبعة فضالة، المحمدية، الجزائر، 2000، ص 349.

ب- لم يكن نشاطها قاصرا على الميدانين الاجتماعي و الديني فحسب، بل تعدى إلى الجانب السياسي الذي أسهم في ظهور عدة دويلات ذات الطابع التيجاني مثل دولة الحاج عمر تال بن سعيد (1798 - 1865) ودولة الشيخ أحمدو (1833- 1898)[1].

ت-لم يقتصر نشاطهم على بعث الدعاة وإرسالهم لنشر الدين وإنما اتخذوا من التجارة أيضا وسيلة لنشر طريقتهم، حيث أنشأوا القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء من أدرار إلى تمبكتو وسيغوا والسنغال، وهذا ما أكسبهم استقلالا ماليا واعتمادا على مواردهم الذاتية.

كان المجتمع الهوساوي وغيره من المجتمعات والقبائل الإفريقية المحيطة بالشيخ عثمان دان فودي يعاني من انتشار واسع للتقاليد السيئة والعادات الخرافية، كما أن العقائد الوثنية انتشرت في كل حدب وصوب، وممّا يؤكّد ذلك ما يذكره الشيخ محمّد بلو في كتابه 'انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور' حيث قال:"لقد حدّثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطنَ يركبون إليها ويذبحون بها ويرشون بالدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظّمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها، ويفطون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيّام الجاهلية، ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها"[2].

وفي وسط هذه البيئة التي تسودها الأفكار والعادات والتقاليد الجاهلية، بدأ الشيخ عثمان بن فوديو عمله الشاق في الدعوة إلى الله، حيث كان المجتمع تحكمه مجموعة من الملوك والأمراء الذين يتطاحنون على حق السيادة، ويتنازعون على الأرض و الأرزاق واستعباد الناس، فقد عرفت المناطق الإفريقية الواقعة بجنوب الصحراء عصراً من عصور الملكية المطلقة، تميز بالصراعات التي أودت بحياة الكثير من أبنائها، بسبب سيادة الأفكار القبلية التي لا مجال معها للوحدة بين القبائل دون غالب أو مغلوب، بحيث تستمر حالات الصراع القبلي دون توقف، مع ما يرافق ذلك من سيادة العقلية الحربية التي تضع شرائح كبيرة من المجتمع في دائرة الاستضعاف، وتحول دون التفكير في بناء وحدة تحت راية واحدة ولغة واحدة وأهداف واحدة، وبالتالي إنتاج حالة أكثر تقدماً

1- أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ/19م، ط1، دار الهدى، ميلة، الجزائر، 2009، ص 11.

2- نفس المرجع، ص 306.

التفكير في بناء وحدة تحت راية واحدة ولغة واحدة وأهداف واحدة، وبالتالي إنتاج حالة أكثر تقدماً مما كان موجوداً سابقاً، لا سيما أن هؤلاء الملوك كانوا على عقائد وثنية متخلفة، ما زالت بقاياها قائمة حتى أيامنا هذه عبر ما يسمى بالعقائد الأرواحية التقليدية، فمن العادات التي كانت سائدة على سبيل المثال أنه كان لهؤلاء الملوك والسلاطين أماكن خاصة يؤمنون بضرورة تقديم الأضاحي البشرية لها مثل الغابات والصخور الكبيرة والبحر، معتقدين أن هذه العادات هي مصدر قوتهم، لا ينبغي التخلي عنها، وإلا ضعفت شوكتهم وقلت أرزاقهم، كما كانوا يؤمنون كذلك بأن الحكم السياسي هو استمرار لإدارة الأسلاف التي يجسدها الملك الذي يستمد قوته من فرض إرادته على الناس من خلال ادعائه بوجود اتصال روحاني مع هؤلاء الأسلاف الأمر الذي يبرر حكمه المطلق الذي لا مجال للخروج عنه.

ورغم أن الإسلام دخل هذه المنطقة منذ مئات السنين، إلا أنه لم يكن يتجاوز حدود الدعاية للسلاطين وتبرير تصرفاتهم من خلال وعاظهم والسحرة والمشعوذين، وإن كانت هناك بعض الممارسات الدينية كالعبادات وقراءة القرآن الكريم وتقبل العطاءات باعتبارها وسيلة لبلوغ الحوائج، ولعل بعض المسلمين كانوا يجدون في بضع الطرق الصوفية ملاذاً مشوهاً للتدين، اما الشَّيخ عثمان بن فودي فلقد قَسَّم في كتابه (نور الألباب) سكَّان بلاد الهوسا إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأوَّل: مَن يعمل أعمال الإسلام، ولا يَظهر منه شيءٌ من أعمال الكفر، ولا يُسمَع منه شيءٌ مما يُناقض الإسلام، وأكَّد صحَّة عقيدة هذا النَّوْع من النَّاس.

القسم الثَّاني: مُخلِّط؛ يَعمل أعمالَ الإسلام ويُظهر أعمالَ الكفر، ويُسمَع مِن قوله ما يُناقض الإسلام فحكم على هؤلاء بالكفر.

القسم الثَّالث: هم الذين لم يشمُّوا رائحة الإسلام، فهؤلاء كفَّار بالأصالة ولا تجري عليهم أحكامُ الإسلام[1].

1- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 120.

الفصل الثاني

المصلحان الحياة و الآثار

- **المبحث الأول:** التعريف بالإمام المغيلي .
- **المبحث الثاني:** التعريف بالمصلح عثمان دان فوديو .

المبحث الأول: التعريف بالإمام المغيلي:

إن الملامح الأولى لحياة الشيخ محمد بن عبد الكريم يلفها كثير من الغموض، ما يُشكِلُ عائقا كبيرا في فهم تكوين شخصية المغيلي في بداياتها، فمولد المغيلي وحياة أسرته وتنقلاته الأولى، كلها تقل المعلومات الواردة عنها في جملة المصادر المتوفرة، وحتى مؤلفات المغيلي نفسه لا توجد بها إشارات لنشأته، ثُم إن الترجمات المختلفة له تتضارب في مولده، ولا تستفيض بالحديث عن حياته وتكوينه، ورغم ذلك حاولنا عبر المعطيات التاريخية الموجودة، والمتاحة لنا فهم جزءاً من تكوين المغيلي ومدى تأثيره على فكره الاصلاحي (السياسي) منه بالتحديد .

المطلب الأول: المغيلي المولد والنشأة:

نسب المغيلي: إن النسب الشريف للمغيلي وبالرغم من بعض الاختلافات في تعداد أجداده يبقى موضع اتفاق بالنسبة للروايات التاريخية المختلفة، فجاء بالشجرة الكبرى أن كنية المغيلي هي أبو عبد الله، وهو محمد بن عبد الكريم ابن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوى بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر مكررة بن عبد الله بن ادريس بن ادريس، بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط، ابن فاطمة بنت **الرَسّول** صلّى الله عليه وسلّم[1]، وهذا ما تذهب إليه الشجرة الموجودة بمخطوط ابن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد مع بعض الاختلافات في ترتيب وعدد أجداد المغيلي[2].

1- محمد بن العالم الجزلاوي: **تقييد نسب المغيلي، الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب توات**، مخطوط، بدون ترقيم، خزانة أنزجمير بلدية زاوية كنته، أدرار، الجزائر.

2- لمزيد من التوضيح أنظر مخطوط بخزانة الطيب بن عبد الله البلبالي الشاري بكوسام، وقد أعاد كتابته حرفيا .

مولد المغيلي: أما مولد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي فكان بمغيلة[1] التي نُسِب لها وحسب الشجـرة الكبرى الجامعة لأنساب سكان توات فقد وُلِد المغيلي عام 790هـ-1388م، وهذا التاريخ تُثبت الوقائع والقرائن التاريخية عدم دِقته حيثُ أن الأخذ به يُحتم على المغيلي مقاتلة اليهود للمرة الثانية عام 902هـ-1496م وعمره مئة وثمان سنوات(108)، علما أن المغيلي قاد جيشه بنفسه[2]، وهناك رأي آخر يرى بأنه وُلد عام 820هـ-1417م وهو رأي يأخذ به صاحب كتاب "النبذة"[3]وذلك استنادا لرواية أحمد بن القاضي المكناسي في كتابه "**الوفيات**"، فلما ذكر وفاة أحمد بن محمد المغراوي المصمودي في سنة 1417م قال"**ومحمد بن عبد الكريم المغيلي الرجل الصالح في حدودها**"فكان يَقصد ولادة المغيلي لا وفاته[4].

كما رجح الأستاذ مقدم مبروك أن ولادة المغيلي كانت عام 831هـ- 1427م لتطابقها حسب رأيه مع تنقلاته ومراسلاته وأحداث حياته[5]، إلا أنه وحسب منهج المقارن ودراسة التطابقات الزمنية للأحداث واستقراء الروايات المتاحة حول مولد المغيلي يُمكن القول بأن ولادته محصورة زمنيا مابين (1417 إلى 1427م)[6]، يمتد هذا الغموض ليشمل اسم والديه وإخوانه أما فيما يخص ابناءه فقد اشتهر منهم **علي** الذي توفي بأولاد سعيد مثل والدته **زينب** بنت عبد الرحمن الثعالبي[7]، و**عبد الجبار**الذي قُتل وهو مستخلف من والِده على توات[8]، أما ابنه الثالث **عبد الله** فهو الذي يُعرف بالمغيلي ويرجعُ له نسب أبناء المغيلي بتوات[9].

1- **مغيلة** توجد بالقرب من تلمسان وتتبع حاليا ولاية تيارت وبها قبيلة بربرية وبالتالي نسبة المغيلي لها نسبة سكنٍ لا دم وقرابة، أنظر أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 34 هـ '2'.

2- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 34 .

3- عبد الحميد بكري : المرجع السابق، ص 55.

4- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 34.

5- مبروك مقدم: المرجع السابق، ص 49-هـ "2".

6- خير الدين شترة: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع سابق، ص 301.

7- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 35.

8- أحمد بابا: المصدر السابق، ص 577.

9- أمحمد الكنتي: "**الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته ومآثره**"، أعمال المهرجان الثقافي الأول، المرجع السابق، ص 05.

نشأة المغيلي: نشأ المغيلي بمسقط رأسه بتلمسان، في بيت عريق عُرف بالحسب والجاه فحفظ القرآن الكريم على يد محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاب[1]، كما أخذ أخذ عنه أُمهات الكتب الفقهية المالكية حيث عُرِف المغيلي منذ بداياته بذكائه المفرط وعلو همته، وتوَقد ذاكرته[2]، اضافة إلى هذا فقد أخذ الحديث عن الإمام سعيد المقري، وكذا التربية والسلوك والتصوف عن أبي العباس الوغليسي .

ثُم خرج المغيلي إلى بجاية في أول رحلة له خارج تلمسان وذلك للاستزادة وطلب العلوم فدرس علوم الحديث والفقه، والأصول والتفسير، واللغة وغيرها[3]، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم المغيلي ببجاية نجد الشيخ أحمد بن ابراهيم البجائي ومنصور بن علي الزواوي المنجلاتي، وانتقل بعدها إلى مدينة الجزائر أين أتصل بالشيخ الثعالبي ولازمه ملازمة لصيقة أخذ عنه فيها جملة من علوم التفسير والقراءات والتصوف، وقد أُعِجب الإمام الثعالبي بالمغيلي وبفطنته وذكائه، فلقنه الطريقة القادرية وزوجه ابنته اعترافا منه بعلمه وفقهه وآدابه، ويُقال بأنه هو الذي أشار عليه بالتنقل إلى توات[4].

بعد هذا السفر للمغيلي خارج تلمسان، وبعد ما أجتمع له من المدارك والمعارف ما يُؤهِلَه للتدريس رجع الى تلمسان مدرسا حيث تتلمذ على يديه عدد لا بأس به من العلماء[5]، وهذا قبل انتقاله إلى توات عام 1465م وأخذه عن الشيخ يحي بن يدير ما كان ينقصه في علم الفقه حيث أن المغيلي لم يربط تعليمه ومعارفه لا بزمان ولا مكان محدد[6].

1- المرجع السابق، ص 04.

2- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 35.

3- ياسين شبايبي: **الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودعوته الاصلاحية بتوات والسودان الغربي**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، اشراف الدكتورة جهيدة بوجمعة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2006-2007م، ص 13.

4- ابراهيم بلبالي: المرجع السابق، ص 228.

5- يحيى بوعزيز: المرجع السابق ، ص 70.

6- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 35.

شيوخ المغيلي: تحقق للمغيلي تلك المعرفة العلمية الهائلة من شتى العلوم العقلية و النقلية بفضل تنقلاته وكثرة أسفاره والتي تتلمذ خلالها على جملة من العلماء من أبرزهم نجد :

1) **الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى الشهير بالجلاب** (ت 875هـ -1470م): من فقهاء المالكية درس لديه عدد من فقهاء تلمسان منهم أحمد الونشريسي[1] والإمام السنوسي، ختم المغيلي عند الجلاب المدونة مرتين، وللجلاب العديد من الفتاوى في 'المعيار المعرب' لصاحبه الونشريسي الذي قال فيه: "**شيخنا الفقيه** "، ووصفه المازوني:"**بصاحبنا الفقيه**"[2].

2) **الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي**(ت 875هـ - 1470م): عالم متصوف درس ببجاية وتونس ثم مصر فدرس بها الحديث، تولى القضاء و تركه، له مؤلفات في التصوف منها '**الانوار المضيئة الجامع بين الحقيقة** ' وهو من كبار مفسري زمانه وهذا ما يشهدّ به كتابه '**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**'، أخذ عنه إلى جانب المغيلي، السنوسي وابن مرزوق الكفيف علوم التفسير والتصوف، قال فيه أحمد بابا "**ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح** "[3].

3) **الشيخ أبو زكرياء يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي التلمساني**(ت877هـ - 1473م): عالم مالكي، وفي كفاية المحتاج "**يحي بن بدير**"[4] درس بتلمسان، وهاجر إلى توات في حدود حدود 845هـ -1441م، وتولى بها قضاء الجماعة التواتية، أخذ عنه الكثير من العلماء أمثال عبد الله العصنوني ومُترْجمنا، قبره بتمنطيط، من بين العلماء الذين كان لهم أثرا راسخا في المشهد الثقافي التواتي[5].

1- للإطلاع على ترجمة الشيخ أنظر أحمد بابا: المصدر السابق، ص 135.

2- نفس المصدر، ص 552.

3- نفس المصدر، ص 258.

4- أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ط1، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، 2002م، ص 509.

5- ابراهيم بلبالي: المرجع سابق، ص 226.

تلامذة المغيلي: تنقل المغيلي كثيرا وكانت له أسفارا عديدة، و خلال أسفاره تلك كان له الكثير من حلقات الدرس بالمساجد والقرى خاصة بمنطقة توات وكذا السودان الغربي، ولِذا عمليا لا يمكن حصر تلامذته، إلا أن من اشهرهم نجد:

1)**الشيخ عمر بن أحمد البكاي:** ولد عام 865هـ - 1460م درس لدى والده، ثم ارتحل إلى المغرب، فمصر وبلاد الشام والحجاز، ثم بلاد التكرور، وهناك التقى بالمغيلي فلازمه وحج برفقته وعاد معه إلى توات، أخذ عن المغيلي علوم الحديث والفقه واللغة والسياسة الشرعية، ويعتبر ابن البكاي الوارث الأول لمعارف المغيلي و رئاسة الطريقة القادرية ببلاد التكرور[1].

2)**الشيخ محمد بن** عبد **الجبار الفجيجي**(ت 954هـ - 1549م): من العلماء المتصوفين، وممن لهم إلمام واسع بعلم الحديث ورواياته، أسس زاوية في بلاده فجيج، قال عنه ابن مريم"**الولي الصالح صاحب الكرامات**.... "[2]، وقد التقى الفجيجي بالمغيلي في فاس فلازمه هناك، وأخذ عنه التصوف والحديث والفقه والعقيدة والمنطق.

3) **الشيخ عثمان بن محمد بن عمر بن فودي الفولاني السكطي:** تتلمذ على يد الشيخ المغيلي لمدة عشر سنوات ببلاد السودان، وله كتاب'**الفتح الرباني في أخبار محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**' تكلم فيه عن حياة الشيخ المغيلي.

4) **ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي**(ت954هـ - 1547م): الإبن البكر للشيخ الفجيجي والأغزر علما، درس على يد أبيه وعلماء فجيج، توجه إلى فاس وأخذ عن ابن غازي، وارتحل بعدها إلى السنوسي بتلمسان، وقد درس بعد ذلك عند جلال الدين السيوطي بالمشرق خلال رحلته للحج، وفي طريقه إلى السودان الغربي مرّ بتوات فوجد المغيلي، فلازمه وأخذ عنه وشاطره آراءه في ثورته على اليهود، اشتغل بالقضاء والتدريس ببلاده قبل سفره.

1- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 38.

2- ابن مريم: المصدر السابق، ص 687.

5) **الشيخ العاقب بن عبد الله الأصنمني المسوفي**: درس ببجاية وهو من أهل **أكدز**[1] حيث تفقه بمسجد الكرامة الذي بناه المغيلي هناك وأخذ عنه علم التوحيد والمنطق، قال فيه أحمد بابا "**فقيه نبيه ذكي** الفهم **حاد الذهن وقاد الخاطر مشتغل بالعلم....في لسانه حدة**"[2] .

6) **الشيخ محمد بن أحمد بن أبي التازختي** :عُرِف بأيد أحمد لازم الشيخ المغيلي بتكدة[3] وحضر دروسه في الفقه والمنطق، وكان قد تلقى العلم على يد الشيخ حاج **أحمد بن عمر** وخاله **الفقيه علي**، كان كثير الترحال فسافر إلى المشرق ودرس هناك الحديث، ثم رجع إلى السودان الغربي واستقر بكشنة[4] وتولى بها القضاء، له تقاييد في مختصر الخليل وغيره[5].

1- أكدز أو أقدز بلدة شمال مالي ومازال يُوجد بها مسجد الكرامة الذي بناه المغيلي وبه كتابة تشير لذلك.

2- أحمد بابا : المصدر السابق، ص 353.

3- تكدة بلدة تقع شمالي مالي والنيجر حاليا .

4- كشنة إمارة من إمارات الهوسا و التي كانت تمتد من شمالي النيجر ومالي حتى أواسط نيجريا وبوركينافاسو حاليا، كما تعرف بإسم "كاتسينا"، أنظر: الفصل الأول، المبحث الثاني، ص 23.

5- نور الدين حاج أحمد: المرجع السابق، ص 32.

المطلب الثاني: آثار المغيلي الفكرية

يُعتبر الشيخ المغيلي من الشخصيات التي تركت بصماتها ليس في تاريخ منطقة توات فقط، بل تعداه إلى حواضر المغرب الاسلامي والسودان الغربي، وإذا ما رجعنا إلى تراثه العلمي المخطوط والمنشور، فإننا نجده حافلا بما يمكن تسميته بوادر وبواعث التجديد الفكري، فالمغيلي لم يرتبط بالدعوة للدين وإصلاح الأحوال الاجتماعية والأخلاقية من منظور التعاليم فقط، بل تعدى ذلك للتنظير للدولة والحكم وتسيير المجتمعات والعلاقات بين الرعية والحاكم وبين الممالك والأقطار الاسلامية وكل هذا في إطار السياسة الشرعية، فالمغيلي عاش في فترة وصفها المؤرخين بالإجمال بعصر ذيوع التصوف، و التعصب المذهبي والضعف في الدول الاسلامية، إلا أن المغيلي تميز بنوع من التحرر العقلي، وهذا ما يتضح من خلال اتصاله بالساسة وإسداء النصائح والإرشادات إليهم، كما كانت له مناظرات مع علماء عصره، فناظر علماء فاس في قضية يهود توات، وقبلهم العصنوني قاضي توات وكانت له مناظرة أخرى مع الشيخ سيد عمر الكنتي في بلاد التكرور حول الشريعة والحقيقة، وناظر السيوطي أثناء رحلته إلى الحج حول علم الحديث، وتُسجل مناظرته لجلال الدين السيوطي في علم المنطق، مدى ما كان للمغيلي من رصيد علمي متنوع ومتجدد المشارب[1].

المشارب[1].

ثُم إن المغيلي خلَف من وراءِه نتاجا فكريا غزيرا متنوعا، في العقيدة والتوحيد والفقه 'المالكي'والحديث والمنطق، والبلاغة والأدب، وفن السياسة الشرعية والأدب السلطاني والوعظ....، ويمكن تقسيم هذه مؤلفات من ناحية الشكل والمضمون إلى قسمين أساسيين هما: مؤلفات في العلوم النقلية والعقلية، أما من الناحية العمليَة فيمكن تقسيمها إلى قسمين كذلك: القسم الأول خاص بكتبه المفقودة والتي لا تدل عليها سوى إشارات العلماء والباحثين، والقسم الثاني خاص بالكتب المتوفرة، منها المطبوع والمحقق ومنها ما لا يزال مخطوط [2].

1- عبد الله حاج أحمد : المرجع السابق، ص 13.

2- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 24.

وبلغة الأرقام فقد عددها الأستاذ مبروك مقدم بسبعة وأربعين(47) مؤلفا بين مخطوط ومطبوع، هذا وقام الأستاذ عبد القادر رباني بدراسة متميزة حول مؤلفات المغيلي أوضح من خلالها أن عدد مؤلفات المغيلي يصل إلى (57) منها 19 ما يزال مخطوطا بنسبة 54.29%، وأغلب هذه النسخ المخطوطة توجد حاليا في الخزائن والمكتبات الإفريقية، أما المطبوع فيصل إلى (16) مؤلفا بنسبة 45.71%، في حين أن التراث المغمور من مؤلفات المغيلي يصل إلى ما نسبته 38% أي ما يُعادل 22 مؤلفا مغمورا مقابل 35 موجود بنسبة أكثر من 61%، كما تُوضِح نفس الدراسة أن مواضيع الفقه والفتوى تُمثل النسبة الأكبر من مؤلفات المغيلي؛ بما نسبته 26.31% تليها مباشرة السيَاسة الشَرعية بنسبة 17.75% متمثلة في (10) مؤلفات وبعدها يأتي المنطق ب(08) مؤلفات؛ ما نسبته 14%، وهاته الأرقام والإحصائيات تقرب أكثر الصورة من طبيعة فكر المغيلي وكذا نوعية تآليفه[1].

من بين هاته المؤلفات نجد في الفقه:**'تأليف المنهيات'** ، **'مختصر تلخيص المفتاح للقزويني'**، وفي التفسير مثل **'البدر المنير في علم التفسير'** و**'تفسير تأويلي للسور الأولى من القرآن الكريم'** وفي التصوف نجد **'تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين'**، ومن مؤلفات المغيلي في المعاملات نرصد **'شرح بيوع الآجال'** و**'شرح خطبة المختصر'**ومما لمترجمنا في الشعر والنحو **'ميمة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم '** و**'مقدمة في العربية'**، وفي المنطق ترك المغيلي مؤلفات جد هامة منها **'مصباح الارواح في أصول الفلاح'** وكذا **'تلخيص المفتاح للمغيلي في المنطق'** .

1- عبد القادر رباني: **الأمام محمد بن عبد الكريم حياته وآثاره مع دراسة وتحقيق أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2011م، ص.ص(191-199).

أما في السَياسة الشَرعية فيُعد المغيلي مجدد عصره عبر مجموعة من الرسائل والمؤلفات والتي كانت لها مناسبات عدة إذ أن أغلبها كان موَجه للحكام والسلاطين، وشيوخ القبائل والقصور وهو ما أعطاها تلك الأهمية التاريخية الكبيرة ومن بين أهمها نجد:**'تعريف فيما يجب على الملوك والأمراء'** و**'وصية لأمير كانو أبو عبد الله محمد بن يعقوب'** وكذا **'تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين'** ناهيك عن **'رسالة الى كل مسلم ومسلمة '** ورسالته الشهيرة لأمير سنغاي المعروفة **'بأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي'** وغيرها كثير[1].

هاته بعض المسميات لمؤلفات المغيلي، والتي تجدر الاشارة إلى أن أغلبها لم تعط لها عناوين، مما فسح المجال أمام المتأخرين من العلماء الذين أطلعوا عليها من اقتراح مسميات لها ومن هنا حصل الاختلاف، هذا فضلا عن أن بعضهم كان يجمع عددا من هذه التآليف في مخطوط واحد ليعطيه عنوان واحد ارتآه مناسباً له[2]، ولعل ما يُسهل على الباحث فهم هاته المؤلفات وخاصة في السياسة الشرعية منها؛ هو معرفة مناسباتها وظروفها حتى يُمكِن له الإحاطة بكل الجوانب المكونة لفكر المغيلي خاصة في تنظيره لنموذج المجتمع الاسلامي وآليات حكمه[3] .

ومن القرائن الدالة على عمق فكر المغيلي ومدى التجديد السياسي في منهجه الدعوي نجد رسالته إلى سلطان كانو **محمد رومفا** تحت اسم جملة **'مختصرة فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام'** ، ثُم رسالته إلى نفس السلطان في حدود 1496م بما يُعرف بمجموعة المغيلي في شؤون الإمارة والتي حملت مسميات عدة **منها تاج الدين**... ، وأيضا **'في ما يجب على الامير من حسن النية للإمارة'** [4]، والتي جاءت في ثمانية(8)أبواب

1- مبروك مقدم: المرجع السابق ص.ص(304-306) .

2- منيرة بوغرارة: **محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب افريقيا**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، اشراف د.أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية 2002-2003م، ص 56.

3-عبد الله مقلاتي، محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 111.

4- منيرة بوغرارة: المرجع السابق، ص 59.

تحدثت عن إحسان النية في الإمارة وكذا الهيئة، وترتيب الملك والوظائف، ثُم الحذر والكشف مع المصداقية، والعدل وتنظيم جباية الأموال وصرفها[1]، ثُم إن النظرة المغيلية لا تحمل ذلك التناقض الذي أشارت له بعض الدراسات، فهو ليس صوفيا بالمعنى المطلق للمصطلح، وليس ثوريا كذلك بالمعنى الذي يُوحى للبعض، وإنما كان المغيلي صاحب نظرة واقعية للمجتمع الذي عاش فيه، وكان صوفيا بمعنى الزهد في ملذات الدنيا، لا الزهد في التعايش مع الواقع، فكان عالما بالمنقول والمعقول مستحكما للمستجدات الآنية والطارئة[2].

ويتدعم هذا الإتجاه التجديدي في فهم السلطة بالرسالة التي وجهها المغيلي لأمير سنغاي الجديد الأسقيا الحاج محمد، والذي جاء بثورة عما أعتبره فساد المُلك والمجتمع، فتُعتبر الوثيقة المسماة **'أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي'** وثيقة فكرية بما حوته من نتاج للمغيلي لمَا تكلم عن سبل إرساء أركان الإمارة وفق الأسس والمبادئ الشرعية الصحيحة، واستحضارا للخصوصيات الإفريقية[3]، وهي وثيقة اجتماعية لتعرضها للوضع الاجتماعي وأحوال القبائل والطبقات المكونة لشعب سنغاي، وهي وثيقة سياسية بالدرجة الأولى لأنها في الأصل سبعة(7) مسائل أراد الأسقيا الحصول على إجابات لها بغية منه في ترشيد حكمه ومملكته[4]، ومما يندرج في هذا المعنى رسالة المغيلي الموسومة **'برسالة إلى كل مسلم ومسلمة'** وهي التي حققها رابح بونار تحت اسم **'مصباح الأرواح في أصول الفلاح'** ، وقد جاءت في ثلاث(3)فصول أوضح فيها علاقة الذمي بالدولة الإسلامية و"ديار المسلمين"، كما يتضح جليا الفكر السياسي في عمل المغيلي في رسالته الاستخلافية لأبنه عبد الجبار

1- لمزيد من التفصيل في هاته الأبواب أنظر مبروك مقدم: المرجع السابق، ص.ص (251-271).

2- قلوم مكي: "**الامام المغيلي في تاريخ المغرب العربي ومطقة توات وافريقيا ابان القرنين التاسع والعاشر هجري تاريخ المغرب العربي ومطقة توات وافريقيا ابان القرنين التاسع والعاشر هجري**"، مقال بمجلة **القبس**، تصدر عن مديرية التربية لولاية أدرار، العدد20،22 افريل 1981، ص 25.

3- أحمد أبا الصافي جعفري: **أبحاث في التراث**، مجموعة أبحاث ومداخلات، جامعة أدرار، 2008م، ص 11.

4- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 160.

والتي تُبيّن أن المغيلي لم يكن يهدف لإجلاء اليهود فقط، بل لإعادة تنظيم منطقة توات بشكل عام وفق الضوابط الشرعية وإقامة المركزية في الحكم بدل نظام العشيرة والقبيلة[1].

وبتالي فإن المغيلي واعتماداً على ما خلفه الشيخ، سواء تراث مادي تمثل في تلك المؤلفات متعددة المواضيع والأغراض والمجالات، أو ما تركه من أثر ظل قائما في المناطق التي نشط بها؛ فمنطقة توات قبل قدوم المغيلي لم تكن هي لما غادرها إلى السودان الغربي وهذا ما ينطبق كذلك على ممالك السودان الغربي، كل هذا وأكثر جعل المغيلي يُعد من أبرز علماء إفريقيا الإسلامية من شمال الصحراء حتى جنوبها، وهو ما يشهد به له العديد من علماء عصره أو ممن جاء من وراءه من بينهم نجد: المؤرخ أحمد بابا التمبكتي حيث يقول فيه:"**خاتمة المحققين الإمام العالم العلاّمة الفهامة القدوة الصالح السنيّ، أحد الأذكياء ممن لهم بسطة في الفهم والتقدم مّتمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين**"[2]، كما وصفه السنوسي قائلا: "**الأخ الحبيب القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**"، كما وصفه "**بالذكورة العلمية**"[3]، وعدّه ابن عساكر: "**الشيخ الفقيه، الصدر الأوحد...كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء، شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..**"[4]، ويثني عليه الشيخ عثمان دان فوديو في كتابه 'فتح آفاق الميسور في تاريخ التكرور 'بقوله:"**أنه كان فقيها حافظا،أُصوليا ومحدثا فرضيا،محققا كبيرا**".

إذن الحديث عن آثار المغيلي لا يتوقف عند ذلك الكم الهائل من المؤلفات والمخطوطات التي تعتبر ذات أهمية كبرى في فهم فكر المغيلي، بل يتعداه إلى ذلك النشاط الذي قام على وجه الارض وفي الواقع المعاش، وهاته ألإزدواجية المتكاملة في عمل المغيلي

1- نور الدين حاج أحمد: المرجع السابق، ص 75.

2- أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق، ص 576.

3- أحمد الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب**، (تح) مجموعة أساتذة بإشراف محمد حجي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 252.

4- ابن عساكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1977م، ص 09.

هي التي جعلت منه حسب الأستاذ عبد الله من نيجيريا يرتبط بتاريخ السودان ارتباطاً وثيق ففي دراسة الممالك الاسلامية ومجتمعاتها يجب استحضار أعمال المغيلي في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي خلال القرن 15م، ثم إن توصيات المغيلي الشفوية والمكتوبة أدت إلى مركزية السلطة السياسة حول مؤسسة الملك بكل من ممالك الهوسا وسنغاي، واعتماد السكوتو بقيادة عثمان دان فوديو على الأفكار الجهادية والتنظيمية للإمام المغيلي[1]، كما أن منهج الإمام الحواري أعطى له مكانة لدى المجتمعات التي مارس فيها الدعوة والإصلاح، وباتت كتبه مدرسة روحية يتربى عليها العديد من العلماء والعامة.

إذن المغيلي لم يختص في التعاليم الإسلامية فقط، بل كان عالما وسياسيا لم ترض آراؤه الكثير وثوريا أصيلا، مما جعل من أفكار المغيلي ونظرته فيما يخص الدولة الإسلامية تتجه نحو إحداث تغيرات كبيرة، حيثُ أن دعوته الإصلاحية بتوات في وجه الوضع اليهودي غير الطبيعي في'بلاد المسلمين' هناك لم تقف أمام دعواته العلمية، بل على العكس من ذلك، فقد ظل الشيخ وخلال مسيرة حياته متنقلا بين ملوك الأمة وأمرائها خاصة بالسودان الغربي ناصحا مرشدا، ومعلما مفتيا متخذا عنصر الحوار والإقناع مدعما عمله ذلك بعشرات الكتب والمؤلفات المترجمة لفكر وحجته.

1- آدم عبد الله الالوري: "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي"، أعمال المهرجان الثقافي الأول، المرجع السابق، ص.ص (25.26).

المبحث الثاني: التعريف بالمصلح عثمان دان فوديو:

المطلب الأول: عثمان فوديو ،المولد والنشأة:

المولد: ولد عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن جب الملقب بإبن فوديو[1] بقرية طفل (مرت)[2]"Maratta" بإمارة غوبير ولاية سوكوتو بشمال نيجيريا الحالية يوم الأحد 29 صفر 1168 هـ الموافق لـ 17 نوفمبر 1754 م[3].

ينحدر أجداد الشيخ عثمان بن فوديو من الأسرة والقبيلة الفولانية من منطقة فوتاتور، الذين قدموا إلى بلاد الهوسا منذ القرن الثالث عشر بقيادة الشيخ موسى جكل الجد العاشر للشيخ عثمان دان فوديو، وتذكر الروايات سبب هجرة قبيلة فودي الفولانية إلى بلاد الهوسا إلى أسباب سياسية واقتصادية، فأحمد كانمي أحد أبناء المنطقة يقول: "**إن الصراع على السلطة في مناطق فوتاتور وفوتاجلون هو الذي أجبر مجموعات كثيرة من الفولانيين على الهجرة إلى الشرق بحثاً على المراعي وعن أوضاع سياسية أفضل**" .

وقد رزق الشيخ ذرية صالحة، إذ كان له من الأولاد محمد سعد، وعلي، ومحمد ثنب، ومحمد بيلو، و أبوبكر، وعمر، ومحمد البخاري، ومحمد الحاج، والحسن وآخرون، وله من البنات خديجة، وعائشة، وفاطمة، وحفصة، وعائشة أخرى، وسودة، وأسماء، وحنة وأخريات[4]، وقد كان الشيخ عثمان يعمل معلماً جاب معظم بلاد الهوسا، و يتحدث باللغة العربية والفولانية والهوساوية .

تلقى الشيخ تعليمه الديني الأساسي على يد مجموعة من الشيوخ، من بينهم والده الشيخ محمد فودي، وأعمامه، وأمه حواء وجدته، فحفظ القرآن الكريم على يد والده، ودرس العلوم العربية الإسلامية على الشيخ عبد الرحمان حمدا، كما درس وتلقى تعاليمه الأولى من خلال

1- فوديو: تعني باللغة الفلانية الفقيه.

2- قرية تقع في الشمال الغربي لإمارة غوبير.

3- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 118.

4- محمد بيلو: المرجع السابق، ص 305.

الأسلوب التقليدي السائد في المجتمعات الإسلامية فدرس مختصر خليل على عمه عثمان بن الأمين، كما انتقل من بلد إلى بلد من أجل جمع العلوم والاستزادة من المعارف على عادة طلاب عصره، حيث كانوا يعتمدون في الدراسة على أستاذ مطلع في علم من العلوم أو فن من الفنون، وبعد إجازتهم ينتقلون إلى شيخ آخر وهكذا[1]، كما تربى على أيدي شيوخ وعلماء من الفلانيين، والهاوساويين، والبرناوسيين.

ثم أنتقل بعد ذلك إلى أشهر مشايخه وهو الشيخ جبريل بن عمر الاغديسي[2]، وكان من أفاضل علماء السودان وأغرزهم علماً وفصاحة، فصاحبه في حله وترحاله مدة سنة كاملة، وكان لهذا العالم الجليل الأثر الفعال في تكوين شخصية عثمان علمياً وفكرياً وكان أول من بايعه على الجهاد في سبيل نشر الإسلام في تلك المنطقة، واعترف له بالولاية وعقد له الراية، وفي المقابل لم يكن الشيخ أقل سموا من معلمه؛ فقد كان يردد بشكل دائم هذا البيت من الشعر:

إن قيل فيَّ بحسن الظن ما قيلَ فموجة أنا من أمواج جبريلا

ولما عزم الشيخ جبريل على شد الرحال لأداء فريضة الحج، كان ابن فودي على ما يبدو ينوي مصاحبة أستاذه إلى البقاع المقدسة، فمنعه من مصاحبته وأمره بالعودة لعدم استئذان والده، فتأثر الشيخ أيما تأثر فنظم هذه القصيدة التي اعتبرها المهتمون من أروع قصائده وهذه أبيات منها :

هل لي مسير نحو طيبة لأزور قبر الهاشمي محمد

لما غنت رباه في أكنافها وتكمش الحجاج نحو محمد

غَدوت منهل الدموع مزبدا شوقاً إلى هذا النبي محمد

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 132.

2- نسبة إلى مدينة اغدس عاصمة إقليم أهير .

ومن خلال هذه الأبيات الشعرية تبدو لوعة الشوق والحنين لزيارة البقاع المقدسة والوقوف على قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، كما توضح أيضا أن عثمان لم يحج بيت الله، بخلاف لما ذهب إليه بعض المؤرخين أن عثمان قد حج[1].

يذكر عبد الله بن فودي شقيق عثمان في كتابه 'إيداع النسخ عن الشيخ جبريل' قوله : " **ذكر لي أخي الشيخ عثمان أنه أخذ علم تفسير القرآن عن أحد أعمامنا وأخوالنا يدعى الزنفوري حول تفسير القرآن من أوله لأخره ،أخذ علوم الحديث عن عمنا وخالنا الحاج محمد براجى بن مويو بن حما بن علي، وقد درس** [يقول عبد الله بن فودي] **كتاب صحيح البخاري بكامله عنده**" [2].

أخلاقه وشمائله: نشأ الشيخ عثمان عفيفاً متديناً، أحيا السنة وأمات البدعة، حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحبة، كثير الحياء والشفقة على الخلق متواضعا، كان يُعرف بالبلاغة والفصاحة، يقول عنه ابنه محمد بلو في كتابه، 'إنفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور' : "**ثم اعلم أني رأيته إذا أراد الخروج إلى الناس يقف في زاوية الدار هنيهة، ويتكلم بكلام ثم ينصرف إلى الناس، فسألته عن ذلك فقال: أجدد النية، وأعاهد الله على الإخلاص فيما أخرج له، وأسأله أن يُفهمَ الحاضرين ما أُحدث به** "، ومن صفاته أيضا إذا وصل إلى المجلس، سلم بسلام عام، سمعه جميع الحاضرين، وإذا صعد إلى الكرسي حياهم بتحية عامة، ثلاث مرات ببشاشة، ثم ينصت الناس فلا يضجر، ولا يحقد ولا يسأم، مع كونه مبتلى بجماعة من العوام قد لا يفهمون قواعد الأدب العامة بالمجالس[3].

وكان يستفتح كلامه في مجلس الوعظ بخطبة إمامه الشيخ عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه[4]وهي : "**الحمد لله رب العالمين، ويسكت ثم يقول الحمد لله عدد خلقه**

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 134.

2- باري عثمان برايمان: المرجع السابق، ص 99.

3- محمد بلو،المصدر السابق، ص 94.

4- نفس المصدر، ص 103.

ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته... " وقد أهتم الشيخ عثمان في تعليمه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر قواعد الإسلام الصحيحة ومحاربة الفجور والأعمال الفاسدة والعادات السيئة.

ونظراً لحداثة سكان تلك الأصقاع بالدين الإسلامي وتعاليمه السامية، فقد كانوا يأتون إلى الوعظ مصحوبين بنسائهم، فعاب بعض العلماء على الشيخ وأتباعه هذا المسلك المشين، وعدوه مخالفا لتعاليم الشريعة الإسلامية كما اعتبروا دروسه بداية لانتشار الفساد، وشيوع الرذائل في أوساط المجتمع، فأخذ معارضيه وخصومه ينظمون القصائد الشعرية ويشهرون بهذا السلوك للتنقيص من قيمة الشيخ عثمان بن فودي فأنشأ الشيخ " المصطفى الفوتي" أبياتاً يطلب فيها من الشيخ أن يحول بين مجلسه والنساء يقول فيها:[1]

أيا بن فودي قم تنذر أولي الجهل ... لعلهم يفقهون الدين والدنيـا

فأمنع زيارة نسوان لوعظـــك إذ ... خلط الرجال بنسوان كفى شينا

لا تفعلن ما يؤدي للمصائب إذ ... لم يأمر الله عيبا كان يؤذينا

كلف الشيخ عثمان أخاه عبد الله بأن يجيبه شعراً لأنه لم يقبل الشيخ التهمة المنسوبة إلى شخصه ومجالس علمه وعدها اتهاما وافتراء مباشرا له، خاصة وإن هذه التهمة تفتقر إلى السند الصحيح، والدليل الشرعي القاطع فأنشأ أخيه قصيدة بنفس الوزن والقافية للرد على الخصوم ومما جاء فيها:[2]

يأيها الذي قد جاء يرشدنـــا ... سمعا لنا قلت فاسمع أنت ما قلنا

نصحت جهدك لكن ليت يعذرنا ... وقلت سبحان هذا كان بهتانا

لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا ... كنا نحذر لكن قلت سلمنا

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 93.

2- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 222.

إن كان ذلك ولكن لا أسلم أن يتركن بالجهل هلا كان إحسانا

وقد أثارت هذه القضية مسائل فقهية متعددة ومعقدة، الأمر الذي دفع الشيخ إلى تأليف العديد من الكتب في هذا الباب، وفي مقدمة كتابه " **تنبيه الأخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان علم فروض الأعيان من دين الله تعالى الرحمان** " وضح فيه سبب وضعه هذا المؤلف لما بلغه أن بعض الناس كان يعيب ويعترض على حضور النساء لمجالس العلم والوعظ[1]، وقد دافع الشيخ عن هذه الآراء بقوة نسف من خلالها اتهامات معارضيه، مستدلا في ذلك بآراء بعض العلماء المسلمين الذين أنكروا على علماء السودان عدم اهتمامهم بتربية المرأة وتعليمها باعتبارها ركيزة المجتمع.

كما **تأثر** ابن فودي بالشيخ المغيلي في غيرته على الإسلام والدفاع عن دولة الإسلام باللسان ثم باليد كما تقدم في ترجمة المغيلي، حتى صار ينقل عنه من كتبه، كأنما ينقل عنه، حتى أنه نسب نفسه إليه كالتلميذ الذي سمع أو أخذ من المغيلي مباشرة مع ما بينهما من بعد العهد الذي لا يقل عن ثلاثة قرون وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على غاية التأثير والتعلق بهذا الشيخ الكبير[2]، وخاصة أن جميع تلك الحوادث التي دارت بين الإمام المغيلي ومجموع من ألتقى بهم في إفريقيا ولما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من ألازدهار في تلك المناطق، كما أنها تعكس لنا في الوقت نفسه الدور البارز والرائد الذي قام به الإمام المغيلي في سبيل إرساء قواعد الدعوة الإسلامية وإخضاع المعارف الإسلامية في تلك الديار لمحك الأخذ والرد وتوسيع دائرة النقاش العلمي حولها[3].

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 94.

2- مبروك مقدم: المرجع السابق، ص 227.

3- أحمد أبا الصافي جعفري: **من تاريخ توات** ، النهضة المصرية، القاهرة ، 2002م، ص 26.

المطلب الثاني: آثاره و مؤلفاته:

كرس الشيخ حياته للتدريس والتأليف، إذ تشير المصادر التاريخية أن له ما يزيد من مئة(100) كتاب، سواء كان مطبوعا أو مخطوطا، حيث كان الشيخ يهدف من هذه المؤلفات إلى إصلاح أحوال العلم والعلماء وتطبيق أحكام الله، وتصحيح الإيمان بشكل يؤدي إلى إقامة الشريعة فيما أمر الرسول ونهى عنه، ولهذا نلاحظ التنوع لدى الشيخ في معالجة مواضيع شتى تتناسب مع طبيعة المنطقة التي عاش فيها، خاصة الدينية حيث ألف الشيخ عدد كبير من الكتب حولها، كما أهتم الشيخ بنظم الشعر الإصلاحي الذي يدعو لمكارم الأخلاق والوحدة في الله، وحسن المعاملة، والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أهتم أيضا بتأليف الكتب في أغراض مختلفة منها السياسية الأدبية، والاجتهادية.

ومن أهم مؤلفاته السياسية "**وثيقة هل السودان**" التي دعى فيها السودانيين لإعلان الجهاد ضد أمراء جوبير، ومحاربة الطغاة والجبابرة ومما جاء فيه " **فاعلموا ياخواني إن الأمر بالمعروف واجب إجماعا، وان تأمير المؤمنين واجب إجماعا، وان طاعته وجميع نوابه واجبة إجماعا، وان الجهاد واجب إجماعا، وان تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعا، وان تأمير القضاة واجب إجماعا، وان تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعا، وان حكم البلاد حكم سلطانه إجماعا، إن كان مسلما كان البلد بلدا إسلاميا، وان كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه**"، كما وضح الشيخ أسس المجتمع الإسلامي في كتابه "**ضياء السياسيات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل**"[1]، كما تناول الحديث عن بلاد الهوسا وأسباب الصراع بين زعمائها في كتابه "**تنبيه الأخوان على أحوال أرض السودان**" ومن أهم كتبه أيضا "**بيان وجوب الهجرة على العباد**"، و"**بيان وجوب تنصيب الإمام وإقامة الجهاد**". وكتاب "**تصيحة أهل الزمان**"[2].

1- عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 146.

2- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 214 .

كما ناقش الشيخ عثمان قضايا كثيرة اتضح من خلالها أنه مطلع في شؤون وقضايا المجتمع السوداني الدينية الأدبية والسياسية والاقتصادية والإدارية، وأكد أنه لا فرق بين لقب أمير المؤمنين والسلطان أو الوالي، والمهم هو تطبيق أحكام الشرع الإسلامية في الدولة، واجتهد في قضايا كثيرة، وأظهر تسامحاً كبيراً في القضايا التي لم يفصل فيها الشرع، وأجمل آرائه الفقهية والاجتهادية في ثلاثة كتب مهمة هي: "**إرشاد الأمة تيسير الملة**"، "**هدية الطلاب**" وكذا كتاب "**توفيق المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين**" [1].

ومن أشهر مؤلفاته "**تنبية الأخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان**"[2]، وأعطى مثلاً على ذلك بتعليم زوجاته وبناته وتفقههن في دينهن ودنياهن، ومنهن بناته الثلاثة خديجة، وأسماء ومريم، وكانت "لأسماء" ثقافة واسعة وعدة تأليف باللغة العربية، والفولانية، والهاوسية، وصار العلماء يستفتونها بعد وفاة والدها، وأخيها محمد ببلو، وللشيخ عثمان بن فودي كتاب"**حصن الأفهام**" أورد فيه فتاوى المغيلي إذ جاء فيه: "...**وسئل شيخنا محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني عن تحليل المطلقة ثلاث قبل الزوج**.."وعالج أيضاً بعض الموضوعات الاجتماعية في مقال تحت عنوان"**مسائل المعاملة**"، ومقالة بعنوان" **نور الألباب**"، الذي قسم فيه المجتمع السوداني إلى ثلاثة أقسام:

1) قسم يعملون بالإسلام وعقيدتهم صحيحة وسليمة.
2) قسم يعملون بأعمال الإسلام والكفر معاً وحَكم عليهم بالكفر.
3) قسم لا صلة لهم بالإسلام أصلاً وهم كفار بالأصالة.

ونظراً لأن الشيخ عثمان كان صوفياً يتبع الطريقة القادرية فقد نالت هذه الطريقة قسطا كبيراً من مؤلفاته، وعالجها في الكثير من المناسبات حتى يزيل اللّبس حول كافة القضايا الصوفية، من أهم هذه الكتب"**ولما بلغت**"، والذي يعرّض فيه وجهة نظر الشيخ في التصوف الإسلامي وخبرته الروحية، ويشكل هذا الكتاب مصدرا هاما وحججا بالغة في التصوف، وله

1- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 219.
2- نفس المرجع، ص 143.

كتب أخرى منها كتاب" **فتح البصائر**"،و "**كتاب الفرق بين علم التصوف للتخلق وعلم التصوف للتحقق**"، أما بالنسبة لكتب "**السلاسل القادرية، والذهبية،والصوفية**" فإنها تحتوي على معلومات قيمة، عن دخول الطرق الصوفية إلى إفريقيا وانتماءاتها وقد ساعدت هذه المؤلفات على جعل الطريقة القادرية تسود في غرب إفريقيا، إضافة إلى العديد من المؤلفات حيث أنه ليست هذه كل مؤلفات الشيخ فله عدد آخر دأب فيه على الوعظ، والتدريس، والدعوة للتمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة من أهمها"**أحياء السنة وبيان البدع**"، و"**كتاب ترغيب العباد والتصوف وتمييز المسلمين والجهاد**"، و"**علوم المعاملة**" و"**عمدة العلماء**"، و" **العقل الأول**"، وكتاب" **فضائح الأمة** "وكتاب" **الهجرة ومسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان**"،[1].

كما طبق الشيخ عثمان المذهب المالكي، واعتنى به طوال حياته، ونفى أن يكون مهدياً منتظراً، كما حاول البعض أن يشيع ذلك، ونفى أن يظهر المهدي في السودان، ومن أقواله في كتابه"**نجم الأخوان**": "**فاعلموا يا إخواني، أن الله عز وجل قد منّا علينا في هذا الزمان بيان ما يُعتقد في دين الله،...ثم منا الله علينا بالهجرة، وتأمير أمير المؤمنين، واتخاذ آلات الجهاد التي هي:الحبل والنبل، والأقواس والرماح والأسياف والاتراس والدروع والمناطق، والأولوية ثم منى الله علينا بالجهاد بها، وتأمير الوزراء وتأمير أمراء الجيش، وتأمير المخازن، وتأمير أمراء البلدان، وتأمير الكتاب، وتأمير الرسل، وتأمير القضاة، وتأمير أمراء الحدود، وتأمير أمراء الحج، فهذا ثلاثة وعشرون خصلة من شعائر الإسلام كعدد سنين رسالته، وبحمد الله تعالى الذي منَى علينا بإظهار هذه الشعائر في آخر الزمان**"[2]ويبدو مما سبق أن الشيخ عثمان كان على علم بما يحيط بمجتمعه وعلى دراية بالأمراض الاجتماعية، والنفسية، والمفاسد الأخلاقية التي غشيت المجتمعات الأفريقية والتي تتنافى مع الطبيعة الإنسانية، وقبلها مع الشريعة المحمدية.

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 108.

2- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 220.

الفصل الثالث

الفكر الإصلاحي السياسي لدى الرجلين

- **المبحث الأول:** حركتا المغيلي وعثمان دان فوديو الإصلاحيتان.
- **المبحث الثاني:** الدعوة وبناء الدولة عند الشيخين.
- **المبحث الثالث:** المغيلي وعثمان دان فوديو "جدلية التأثر والتأثير".

المبحث الأول: حركتا المغيلي وعثمان دان فوديو الإصلاحيتان:

لا يمكن التطرق إلى كل الجوانب الإصلاحية في نشاط المغيلي وعثمان فوديو إلا أنه يمكن التعريج على الجوانب السياسية باعتبارها تُمثل جانبا مهما من رحلات المغيلي والتي لم تكن ذات طابع علمي فقط سواء تلك التي كانت باتجاه توات، فاس أو ممالك السودان الغربي، وكذا نشاط عثمان فوديو الذي تُوج بإقامته الدولة الفودية متأثرا بنشاط المغيلي .

المطلب الأول: حركة الشيخ المغيلي الإصلاحية:

إن قدوم المغيلي إلى توات كان في حدود 856هـ-1452م -كما أشرنا سابقا- وبالتحديد بمنطقة أولاد سعيد والتي أستطاع أن يقيم بها مسجدا ومصلى وسوق[1]، وهي أعمال وإن كانت اجتماعية دينية إلا إنها لا تنفك عن الجانب السياسي، ثُم إن نشاط المغيلي يتضح أكثر بدخوله تمنطيط عام 870هـ -1465م حيثٌ وجد اليهود يفتعلون القتال بيْن القبائل التواتية، كما أنهم ملكوا الرقيق الذين ثبُت إسلامهم، بالإضافة إلى أنهم لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة، واحتكروا التجارة مع بلاد السودان وغيرها[2]، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تمادى اليهود بأنشطتهم، وبنوا بيع ودور عبادة جديدة، واشتروا ذمم شيوخ و زعماء القبائل.

فكان المغيلي بعد أن توفى شيخه يحي بن يدير ودخوله الثاني إلى تمنطيط أن أنكر عليهم ذلك، وأفتى بوجوب هدم بيع ودير اليهود التي استحدثوها، بل وذهب أبعد من ذلك حيث قال:"**لاشك أن اليهود المذكورين كيهود توات، تيجرايز و تافيلات و درعة، وكثير من الأوطان في افريقية وتلمسان، قد حُلت دماؤهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم، ولا ذمة لهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية، لا الذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون**"[3].

1- عبد الله حاج أحمد: المرجع السابق، ص 26.

2- أحمد الحمدي: الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي 'الاطار المعرفي والتعامل مع المكانية'، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م،ص 113.

3- المغيلي: مصباح الارواح في أصول الفلاح، المصدر السابق، ص 40.

التي جعلت من المغيلي يقرر قتالهم وإجلاءهم وهي أسباب تتصل بإحكام الذمة وتحمل في طياتها أبعاد سياسية كذلك، ولا تتصل فقط باستحداثهم البيَّع والكنائس، هذا وقد دعَم المغيلي عمله الإصلاحي، الدعوي والسياسي بتوات بكتابات ورسائل بيَن من خلالها أرضية بناءه لفتاواه ومواقفه الشرعية والسياسية منها،[1]، وقد تحقق للمغيلي الانتصار لقضيته، في شقيها الفقهي التنظيري، وكذا العملي الواقعي، وترتب على ذلك جملة من النتائج على جميع الأصعدة نخص منها التالي :

1.تم سحب جميع السلطات من رؤساء القبائل، وانتقال العاصمة من **تمنطيط إلى بوعلي**.

2.إجلاء اليهود من توات ومطاردتهم بالصحراء ومصادرة أملاكهم.

3.أصبح لتوات قاضيان في الجهة الشرقية المغيلي وفي الجهة الغربية العصنوني.

4.تأسيس جهاز الشرطة لحماية النظام بإقليم توات، برئاسة عبد الجبار ابن المغيلي، وأصبح لهذا الجهاز فروع بالمناطق التواتية، إذ حاول هذا الجهاز القضاء على الولاء القبلي لمصلحة الولاء للمؤسسة الشرطية نفسها، وهذا الجهاز من أهم الأعمال التي قام بها المغيلي رغم عدم نجاحه بالشكل المطلوب، حيث تعارض مع الزعامة القبلية المتجذرة بتوات.

5.ترتب عن هاته الحملة ضد اليهود أزمة اقتصادية بتوات، نتيجة تحكمهم بالتجارة والصنائع خاصة بتمنطيط، والتي لم تدخل تحت ولاية المغيلي، كما أن الدولة الوطاسية عمِلت إلى إرباك المشهد بتوات من خلال إشاعة جو من عدم الأمن والاستقرار هناك[2].

وبعد أن استطاع المغيلي تحقيق أهدافه وتم تأسيس الإمارة المغيلية، استخلف ابنه عبد الجبار حيث قال في رسالته الاستخلافية:"**ثُم استخلفتُ ولدي محمد عبد الجبار عند سفري لعلمي أنه أهل لذلك إن وفقه الله وأعانه، وقد أوصيته بتقوى الله في جميع أُموره...**"[3]، وقد اتجه المغيلي نحو بلاد السودان وسيرته كانت قد سبقته إلى هناك وحسب أحمد بابا فإن دخول المغيلي إلى ممالك السودان الغربي بدأ ببلاد أهر، ثُم' تكدة 'حيث اشتغل بها بالتدريس

1- المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 19.

2- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص.ص(130-131).

3- نور الدين حاج أحمد: المرجع السابق، ص 78.

والوعظ والإرشاد في مساجدها، والتقى بحاكمها ونصح له[1]، ومهما يكن من اختلاف حول سنة دخوله لهذه المناطق فالراجح عندنا أنه كان بعد سنة 1480م وقبل سنة 1490م، فخلال هذه السنة كان المغيلي قد وصل إلى 'كانو' وأسس بها مدرسة ومسجد الكرامة وزاول بها التدريس[2]، واتصل بسلطانها محمد رومفا الذي جعله مستشاره الخاص ووزيره، فوضع له المغيلي رسالة في أمور السلطنة عُدت بالقانون التنظيمي للعلاقات داخل المملكة، واتبعها بأُخرى سمّاها"**تاج الدين**"أوضح فيها سبل إصلاح المملكة وإدارتها[3].

ومن مدينة كانو اتجه نحو مدينة كشنة عاصمة مملكة 'كاتسينا' أو كشنا، وهي إحدى إمارات الهوسا، والتقى بحاكمها **ماجي ابراهيم** وذلك حوالي تقريبا سنة 1492م وأثمرت جهوده في عام واحد على فرض الشريعة وأحكامها بهذه المملكة، لِينتقل المغيلي إلى سنغاي تحت حكم الأسقيين، ودخل عاصمتها حوالي سنة 1493م حيث التقى بالحاكم الجديد الأسقيا محمد الكبير (1493-1528م)، هذا الأخير الذي حاول تقريب العلماء منه ويبدو أنه استفاد من تواجد المغيلي بأخذ رأيه في القضايا التي خلفها سلفه سني علي[4]، وقد أجاب المغيلي عن سبع مسائل أساسية تحمل عدة قضايا فرعية كانت مصب اهتمام السلطان الأسقيا محمد ومحل تساؤله، ومن بين ما أشارت له الأسئلة; طبيعة الحكم وشرعيته وإدارة البلاد، ووجوبية الجهاد وأشكاله، وكذا أهمية تقريب العلماء واستشارتهم، وعوامل بقاء الدولة وعلاقاتها الخارجية[5]، فكان المغيلي من أوائل الّذين اتصلوا بالسلطان محمد الكبير، وساهموا بشكل كبير في رسم ملامح حكم الأسقيين بسنغاي.

وبعد هذا العمل الإصلاحي بالسودان الغربي وممالكه، قرر المغيلي القيام بالحج، فالتقى بتمبكتو بالشيخ عمر الكنتي وناظره في العلوم الشرعية وأخذ عن المغيلي، كما سافر

1- أحمد بابا التمبكتي: المصدر السابق، ص 577.

2- آدم عبد الله الالوري: المرجع السابق، ص 26.

3- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 139.

4- عبد القادر رباني: المرجع السابق، ص 143.

5- عبد القادر زبايدية: المرجع السابق، ص 160.

معه إلى الأراضي المقدسة، حيث التقيا بأسيوط[1]، الشيخ جلال الدين السيوطي فرافقهما، وقد كانت بينهما قبل ذلك مراسلات في علم المنطق[2]، ولما وصل المغيلي إلى الأراضي المقدسة، وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم جادت قريحته شعراً ومما قال :

بُشراك يا قلبّ هذا سيدّ الأُمم وهذه حضرة المختارِ في الحرم

وهذه الروضة الغرّاء ظاهرة وهذه القُبة الخضراء كالعلـــم[3]

بعد أدائه فريضة الحج عاد الثلاثة وبقي السيوطي بأسيوط في حين رجع المغيلي و الكنتي إلى كاغو بسنغاي، ولم يطل مقامه هناك بعد العودة حتى جاءه خبر مقتل ابنه عبد الجبار فانزعج لذلك وطلب من الأسقيا القبض على جميع أهل توات بكاغو، وذلك في ثورة غضب أنكرها عليه الشيخ أبو المحاسن محمود بن عمر، فرجع عن الأمر وأطلق الأسقيا أهل توات بناءاً على طلب المغيلي مما يوضح المكانة العالية له عند هذا الحاكم، وعلى إثر الحادثة رجع المغيلي إلى توات لقيادة الثورة الثانية على اليهود[4]، الذين عادوا إلى توات تحت حماية عمر بن عبد الرحمن زعيم قبيلة أولاد علي بن موسى، وقامت معركة كبيرة بين الطرفين عام 902هـ-1496م لم يتمكن المغيلي فيها من تحقيق النصر لعدة اعتبارات منها: أن الروح المعنوية لأنصاره أُصيبت بسبب الضائقة المالية، كما أن الدولة الوطاسية كان لها يد في مجرى الأحداث بتدعيمها للجبهة عمر بن عبد الرحمن حافظا على مصالحها الاقتصادية مع يهود توات ما جعل المغيلي يأوي إلى وادي البرامكة أين كان قد أنشأ زاويته قبل رحيله للسودان، وظل مدرسا وداعيا بها حتى وافته المنية عام909هـ-1503م.

1- أسيوط مدينة في غربي النيل بصعيد مصر، وهناك رأي يقول بأن المغيلي التقى بالسيوطي عند الأسقيا حيث عمل كمستشار وواعظ ومرشد لدى الأسقيا، أُنظر يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 82.

2- أحمد بابا التمبكتي: المصدر السابق، ص 578.

3- عبد العزيز أبليلة: "ميمية المغيلي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة في القيم والتفكير والتعبير"، مجلة النخلة، (ع) 03، ابريل 2007م، أدرار، ص 12.

4- أحمد بابا التمبكتي: المصدر السابق، ص 577.

المطلب الثاني: حركة عثمان فوديو الإصلاحية :

يمكن القول أن الدعوة عند عثمان فوديو قد مرت بمرحلتين أساسيتين مرحلة الجهاد القولي ، ومرحلة الجهاد الفعلي.

ا.المرحلة الأولى: (1198هـ /1784م، -1218هـ /م1803)

بدأ الشيخ عثمان دان[1] فوديو الدعوة والإرشاد وهو لم يتجاوز عشرين سنة، فشد الرحال إلى أماكن مختلفة بعيدة وقريبة يدعو الناس لإعتناق الإسلام والابتعاد عن الوثنية وإرشاد المسلمين منهم إلى ترك ممارسات وعادات الشرك والعمل بالإسلام ديناً، فتدفقت عليه جماهير غفيرة لإعلان الولاء والمبايعة، والاستفادة من ينابيع العلم، والمعرفة، يستمعون إليه بالاهتمام والاعتناء الكاملين، وهو يلقي عليهم دروسه وتذْكّر المراجع أن الشيخ عثمان أثناء تنقلاته كان عازفا عن زيارة الملوك والحكام ويستنكف ملاقاة أصحاب النفوذ والسلطان، ولا يتعامل معهم ولا يتدخل في أمورهم السياسية متفرغاً لتربية الناس وتوجيههم نحو الإسلام مركزاً على مهاجمة رذيلتين انتشرتا في السودان الغربي هما شرب الخمر، وفساد الأخلاق[2].

اتخذ الشيخ عثمان من بلدته ديجل" Dégul " منطلقا لنشر دعوته، وقد ساعد في ذلك إتباع كثيرين المخلصين لدعوته، ولعل ما يؤكد هذا القول ما كتبه أخوه وتلميذه عبد الله بن فودي الذي لازمه، ولم يفارقه منذ صباه، إذ يقول: "...**ثم قُمنا مع الشيخ نُعينه على تبليغ الدين، يسير لذلك شرقا وغربا يدعو الناس إلى دين الله بوعظه، وقصائد عجمية، ويهدم العوائد المخالفة للشرع، فيأتي إليه بعض الناس من الآفاق ويدخلون في جماعته، ونحن في بلده** "[3]، وبعد أن أحدث الشيخ يقظة فكرية دعاه "باوا" Bawa ملك جوبير إلى البلاد

1- كلمة دان في "عثمان دان فوديو" تعني ابن بلغة الفولانيين.

2- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 92.

3- يحي بوعزيز : المرجع، ص 212.

ليعلم أبناءه فزاد هذا من شهرته وذيوع صيته وارتفاع مكانته بين العامة والخاصة[1]، ثم توجه إلى إقليم"زنفرا"،zemfar حيث قضى به خمس سنوات يدعو خلالها إلى احتضان الإسلام.

ونظراً لحداثة سكان تلك الأصقاع بالدين الإسلامي، وتعاليمه السامية، فقد كانوا يأتون إلى الوعظ مصحوبين بنسائهم، فعاب بعض العّلماء على الشيخ وأتباعه هذا المسلك، وعدوه مخالفا لتعاليم الشريعة الإسلامية كما اعتبروا دروسه بداية لانتشار المفاسد، وشيوع الرذائل في أوساط المجتمع، فأخذ معارضيه وخصومه ينظمون القصائد الشعرية ويشهرون بهذا السلوك للتنقيص من قيمة الشيخ فأنشأ الشيخ " المصطفى القوني" أبياتاً يطلب فيها من الشيخ أن يحول بين مجلسه والنساء[2].

لم يقبل الشيخ التهمة المنسوبة إلى شخصه ومجالس علمه وعدها اتهاما وافتراء مباشرا له، خاصة وإن هذه التهمة تفتقر إلى السند الصحيح، والدليل الشرعي القاطع فكلف أخاه عبد الله بالرد فأنشأ قصيدة بنفس الوزن والقافية للرد على الخصوم[3]، وقد أثارت هذه القضية مسائل فقهية متعددة ومعقدة، الأمر الذي دفع الشيخ إلى تأليف العديد من الكتب في هذا الباب، وفي مقدمة كتابه"**تنبيه الأخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان علم فروض الأعيان من دين تعالى الرحمن**"وقد أعتمد الشيخ في دعوته على خمسة ركائز هي:

1. ما فرضت به الشريعة وهي الأصول والفروع الظاهرة والباطنة.
2. في الحث على إتباع سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم .
3. في رد الأوهام التي توَهمها الطلبة (وهؤلاء قد شّغِلوا بعلم الكلام) فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر وأشاعوا أن عوام المسلمين لا تؤكل ذبائحهم، ولا يناكحون مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد.
4. في ردع البدع الشيطانية ورد العوائد الرديئة.

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 92.

2- نفس المرجع، ص 93.

3- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 222.

5. في بث العلوم الشرعية وتحديد المشكلات فيها والإفادة من العلوم.

وهكذا اتسعت دعوة الشيخ عثمان فوديو وبلغت إلى أغلب المجتمعات السودانية في المنطقة، كما لقيت دعوته صداها العميق في نفوس العامة والخاصة، وبمرور الزمن تمكن الشيخ من تكوين مجموعة من الطلاب عكفوا على مساعدته في تبليغ دعوته الإصلاحية إلى كل الجهات، ونسخ كتبه، ونشرها بين الناس وقد قسم الشيخ تلامذته إلى قسمين:

1) **القسم الأول** (الملازمون): ويتولى هؤلاء مهمة تفسير وشرح دروس المصلح وتوجيهاته، ونسخ مؤلفاته ونشرها في عموم البلاد .

2) **القسم الثاني:** انتشر في مناطق السودان الأوسط والغربي وكانوا على صلة وعلاقة بالشيخ بطريقة التلقي المباشر عنه أو عن طريق طلابه الذين يبعثون بهم للاغتراف من علم الشيخ[1]، ومع ازدياد هؤلاء الأتباع بدأت الريب والمخاوف تنتاب الحكام في إمارة جوبير " Coubir "فسارعوا بالتودد للشيخ محاولين احتوائه.

وفي عيد الأضحى المبارك لعام(1253هـ،1788م) دعى سلطان جوبير، باوا علماء البلاد، وحاول شراء ذمة الشيخ عثمان بعطية ذهبية تقدر بخمسمائة (500)مثقال[2]، فرفضها وطلب منه عوضا عنها الأمور الخمسة التالية:[3]

1. أن يسمح له بالتجول حرا في الإمارة للدعوة في سبيل الله.
2. ألاّ يقف في طريق أي شخصٍ يستجيب لدعوته.
3. أن يوقر كل عالم يلبس العمامة.
4. أن يُطلق سراحَ المسجونين لقضايا سياسية.
5. ألا يفرض ضّرائب باهضة على الرعية.

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص174.

2- المثقال: يساوي وزن 72 برة من القمح المتوسط الحجم، أنظر عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 54.

3- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 121

وفي عام 1157هـ،1744م توفي السلطان" باوا" وخلفه" نافاتاNafata فعزم على القضاء على دعوة الشيخ فأصدر مرسوما نص على[1]:

- يّمنع منعا باتا السماح لأي شخص اعتناق الدين الإسلامي والتدين به إلا من ورثه عن آبائه وأجداده

- عدم السماح لأي كان بارتداء العمامة بعد تاريخ صدور هذا المرسوم.

- ألا تضع أية امرأة الخمار على رأسها والنقاب على وجهها.

- يّمنع العلماء من ممارسة النشاط الإصلاحي والدعوي والوعظي إلا الشيخ عثمان وحده

II.المرحلة الثانية: هجرة الشيخ وجهاده (1219هـ/ 1804م-1224هـ/1809م):

بعد الضيق الذي لحق بالشيخ وجماعته، وبالتزامن مع مضايقات السلاطين شن علماء السوء على جماعته حملات التشنيع والتضليل إذ كفروه وأصدروا فتاوى توجب قتاله وجماعته فأعلن الشيخ عثمان لجماعته وجوب الخروج من هذه المملكة، فقرر الهجرة إلى مدينة جودو Gudo وأصدر فتوى بذلك أُذيعت في مختلف الأمصار، يقول الشيخ عثمان في كتابه "**بيان وجوب الهجرة على العباد** ":"...**لأنّ حكم البلد حكم سلطان بلا خلاف، إن كان مسلماً كان البلد بلد إسلام، وإن كان كافراً كان البلد بلد كفر، يجب الفرار منه إلى غيره**"، ليراسل الشيخ حكام بلاد الهوسا طالبا منهم الدخول في طاعته وتطبيق الشرع الإسلامي، ولم تجد دعوته هذه آذانا صاغية باستثناء حاكم زاريا Zaria، "خاتو" Khatou، وحاولوا الانتقام منه ومقاومة حركته بدعوى أنها مصدر للفتنة والتفرقة بين الناس، لكن أتباعه دافعوا عنه وعقدوا له البيعة وأقسموا له يمين الطاعة على الكتاب والسنة، ومن حينها حمل الشيخ لقب (أمير المؤمنين) أو (ساركين مسلماني) باللغة الفولانية[2] .

1- نفس المرجع، ص 152.

2- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 138.

وفي ظل هذه الأوضاع أصدر الشيخ وثيقة **أهل السودان**، التي دعى فيها السودانيين لإعلان الجهاد ضد أمراء جوبير، ومحاربة الطغاة والجبابرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهجرة من أرض الكفر والكفرة إلى دار الإسلام، وقد صارت هذه الوثيقة إعلانا رسميا للجهاد، فاستجاب له الكثير من الأتباع والمؤيدين؛ لينطلق الجهاد في صائفة سنة 1219هـ-1804م ومن أشهر المعارك التي وقعت هي معركة (تسونسو) Tsso Nssou التي خسرها المسلمون وذهب ضحيتها ما يزيد عن الألف شهيد، لكن قوات الشيخ سرعان ما استعادت قوتها وأحرزت الانتصارات وبسطت نفوذها على إمارة **كبي** Kébbi متخذة منها قاعدة ومنطلقا للجهاد، فسقطت بعد ذلك الإمارات الوثنية الواحدة تلو الأخرى.

المبحث الثاني: الدعوة وبناء الدولة عند الشيخين:

المطلب الأول: الحكم و بناء الدولة عند المغيلي:

إن النظرة المغيلية للمسألة السياسية تجديدية، ليس فقط من حيث الأطروحات التي جاء بها المغيلي ومساهماته في السياسة الشرعية فقط، بل حتى من جهة الإنجاز التاريخي والتطبيق العملي لأفكار المغيلي الإصلاحية، فكان المغيلي أن قاد مشروع سياسي كُتب له شيء من النجاح في الصحراء وإفريقيا الغربية والذي استطاع المغيلي من خلاله تجاوز حدود السلطة المتهالكة واستدراك الواقع الاجتماعي المشتت، كما رافع عن الرؤية الإسلامية لقضايا الحكم والإمارة والإدارة، والمتتبع لمؤلفاته في مجال السياسة الشرعية مثل**'رسالة في شؤون الإمارة'**،**'أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي'** و**'جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام'** وكذا **"تاج الدين..."** وغيرها، يستطيع فهم الجوانب التي بنى عليها المغيلي رؤيته السياسة واهتمامه بإصلاح أحوال الدولة وما يضمن لها القوة وانتظام المصالح[1]، ويمكن إجمال الملامح النظرية للمشروع السياسي للمغيلي في المرتكزات الآتية:

ا. طبيعة الدولة في الفكر المغيلي:

إن مسألة السلطة السياسية من المسلمات التي أتفق عليها علماء السنة والجماعة، لأن انتظام الأمة وحراسة الدين لا يتم إلا بسلطة قائمة تُحقق مقاصد الدين في خدمة المجتمع وعمارة الدنيا[2]، وفي هذا الاطار يُوَضح المغيلي طبيعة الدولة فيقول:"**إن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعظم فضلها وأثقل حملها**"[3]، إذن الحكم لدى المغيلي ليس مُلك يعود للحاكم، وإنما استخلاف يُحاسب عليه، كما وضع

1- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 91.

2- محمد عبد الحليم بيشي: "المشروع السياسي للإمام المغيلي 'النظرية والتطبيق'"،أعمال الملتقى الدولي بتلمسان'الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الديني'،05-06 فيفري 2012م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2012م، ص 157.

3- المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، (تح) محمد خير رمضان يوسف، دار إبن الحزم، بيروت، لبنان، 1994م، ص 15.

المغيلي الحاكم أمام مسؤولياته في خطابه للأسقيا فقال:"**إنما أنت مملوك لا تملك من أمرك شيئ، وقد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم، لا لتكون سيدهم ومولاهم، وأنت في جميع مملكتك راع لا مالك، وكل راع مسؤول عن رعيته**"[1]ولم يقف المغيلي عند هذا الحد بإيضاح مسألة الاستخلاف بدل الملك المطلق، والشائعة خاصة بإفريقيا الغربية خلال القرنين 14و15م، بل أوضح أن السعي إلى السلطة يُمثل خطورة في حد ذاته فيقول:" **الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى فعلى كل ذي عقل أن يبعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها**"[2].

إذن نفهم مما تقدم أن الدولة حسب مفهوم المغيلي هي التي يقول فيها ابن خلدون:"**حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به**"[3]، ثُم يحدد العلامة المغيلي شروطا أساسية لقيام الدول و استمراريتها وهي:

أ) **نصب السلطان وإقامة الحكم**: لقد شدد الإمام المغيلي على وجوب وجود السلطة الحاكمة من أجل إقامة المصالح ودرأ المفاسد فيقول في رسالة لأمير كانو محمد ين يعقوب رومفا :" **إعلم أعاننا الله وأياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، أنه لابد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية** "[4]، إلا أن المغيلي لم يقف عند موضوع إنتماء الحاكم لقريش كما يرى الإمام مالك، فهو رغم أنه مالكي

1- المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، (تح)عبد القادر زبادية، ضمن كتاب (الحضارة العربية والتأثير الأوروبي)، المرجع السابق، ص 162.

2- المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، المصدر السابق، ص 17.

3- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 191.

4- المغيلي: رسالة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام، (تح) مبروك مقدم، ضمن كتاب (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحي بممالك السودان الغربي)، المرجع السابق، ص 100.

المدرسة فقد راعى في خطابه السياسي الظروف الخاصة بكل زمان ومكان، واشترط عدل وإحسان وفضل الحاكم[1].

ويذهب المغيلي بعيدا في استعراضه لوجوب نصب السلطان وإقامة الحكم وذلك عند غياب السلطة أو تحولها عن مسارها الشرعي، والمجتمعات سياسيا حسب المغيلي ثلاثة أنواع هي:

1 بلاد سائبة ليس لها أمير وهو الأمر الذي يشدد المغيلي على إنهائه حيث يقول:" **فهؤلاء أجبهم إلى مبايعتك والدخول تحت طاعتك، فإن أبوا ذلك فاجبرهم عليه ما إستطعت، لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملا**"[2].

2 بلاد لها أمير مسلم يرعىَ المصالح ويحفظ الدين والدنيا، فلا يجب منازعته في ملكه.

3 بلاد لها أمير مسلم ظالم وفاسد، فإن سهُل نزعه من غير مضرة فذلك أفضل وإن تعسر فالعمل على تغيير منكر بآخر أكبر منه لا يجوز بحسبه[3].

ب) هيبة السلطان وهيئته: لهيبة السلطان وهيئته وآدابه أهمية خاصة في الفكر السياسي لدى المغيلي، حيث أن شخصية الحاكم تؤثر في الحكم والرعية سلبا وإيجابا، فالمغيلي يرى أن رداء الهيبة واجب على الأمير في حضوره وغيابه[4]، ويُوضح له طريق المحافظة على هيبته بالتزام آداب حب الخير وأهله وبغض الشر وأهله، وبآداب العناية بنظافة الجسم وطيبة الرائحة وحسن الثياب بشرط ألا يكون في ذلك تبذير لأموال الدولة[5]، ومن الأمور التي شدد عليها المغيلي الصدق في التعامل بين الأمير ورعيته وبين أن: " **أقبح القبائح اثنان كِبر الفقيه، وكذب السلطان**"، ثُم تطرق المغيلي لكثير من الأمور التفصيلية في حركات وسكنات السلطان، لأنه يرى بأن هيئته وأعماله وأفعاله كلها من الأعمال السلطانية التي تدعم الملك

1- قاسم جاخاتي: "مفهوم الدولة ورعاياها ومؤسساتها في الفكر السياسي لمحمد بن عبد الكريم المغيلي"، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، المرجع السابق، ص 103.

2- المغيلي: أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، المصدر السابق، ص 179.

3- نفس المصدر، ص 180.

4- المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، المصدر السابق، ص 19.

5- قاسم جاخاتي: المرجع السابق، ص 103.

والحكم، كما أكد المغيلي على أن السلطان يجب أن يمعن النظر ويدققه فيما يجري في دولته، وأن يُتابع قراراته وأن تكون مطابقة لقوله وفعله:

"إذا أهمل السلطان شأن مقـــاله فقد بان منه الضعف في كل حـــاله"[1].

II. علاقة الحاكم بالرعية ومؤسسات الدولة:

يُدرك المغيلي بأن ترتيب الملك يعد من الأمور الهامة في بناء الدولة، فهو يعلم أنه من غير المعقول أن يتولى السلطان جميع أمور مملكته وتدبر شؤونها بمفرده، وبالتالي تُحتم عليه المسؤوليات إقامة نظام مؤسسي تابع للسلطان يقوم بأعماله، ويتوب عنه[2]، حيث أن على"**الأمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته، على ما يتمكن به من صلاح رعيته**"[3] ولضمان أن تكون المؤسسات في خدمة الرعية دعى المغيلي إلى ترتيب الوظائف وإنشاء أجهزة تقوم على تجسيد الواجبات وضمان الحقوق، وهي حسب المغيلي أربعة أجهزة:

أ) الجهاز الوظيفي للدولة: حدد المغيلي مدى حاجة السلطان إلى جهاز مؤسسي وظيفي بالدولة به مسؤولين يعملون بكفاءة وإخلاص في أعمالهم وبين أن السلطان يجب عليه أن يحسن اختيار بطانته ومستشاريه وبأن يُقرب منه الخيار والعلماء حتى تكون النصيحة له لعامة الناس لا للتقرب منه و الحصول على المكاسب الشخصية[4]، ومن بين أهم الوظائف التي أشار إليها المغيلي نجد: "**خدام بالحضرة يتصرفون وعقلاء يشيرون، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتاب وحّساب يحفظون، ورسل وجّساس وحفظة وعّساس**"، واشترط فيهم الثقة والفضل وخشية الله خاصة الوزراء لما لهذه الوظيفة من أهمية قصوى في الجهاز الوظيفي[5].

1- المغيلي: المصدر السابق، ص 22.

2- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 143.

3- المغيلي: المصدر السابق، ص 25.

4- محمد حمد كنان ميغا: "البعد السياسي المقاصدي في أجوبة المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي"، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، المرجع السابق، ص 30.

5- المغيلي: المصدر السابق، ص 26.

كما دعى المغيلي الحاكم إلى فرض الرقابة ومحاسبة المسؤولين، وتفعيل نظام الشورى وأخذ النصح من أهل الخبرة والتقوى، ثُم أنه من التدابير اللازمة لحسن الإدارة والتوجيه بمؤسسات الدولة حسب المغيلي "**أن يحتفظ على عماله في جميع أعماله، ويتدبر أقوالهم، ويختبر أحوالهم، ويُحصي قبل الولاية أموالهم، ويتفقد في كل حين أعمالهم**"[1]، وبَيّن المغيلي ثقل مسؤولية الحاكم على جميع مؤسسات الدولة والحكم، واعتبر أنه الوحيد الذي يتحمل كل الأخطاء الفردية أو الجماعية لعماله لأنه اختارهم وهو الوصي عليهم[2].

ب) **الجهاز الأمني للدولة:** لقد أشار المغيلي من خلال رسائله ومؤلفاته ومن خلال تعاطيه مع الوقائع خاصة تواجده بتوات إلى أهمية الأمن في حياة الفرد والمجتمع والأمة، فإعتبره المرتكز الأساسي لكل عوامل البناء والتنمية، كما إعتبر الأمن مقصدا من مقاصد الشريعة وبأن صلاح الدنيا وانتظام أمرها لا يكون إلا بتحقيق الأمن، وأي إختلال فيه يؤثر في عبادات الناس ولهذا وجب على الجميع المحافظة على الأمن والاستقرار[3]، واختص الحاكم بذلك وأكد أن الدولة محاطة دائما بمخاطر بينة وكامنة، وهو ما يتطلب منه اتخاذ احتياطات أمنية وبحسب المغيلي فإن الجهاز الأمني للدولة يضم جهازين الشرطة والجيش:

-**جهاز الشرطة**:وهو حسب المفهوم المغيلي "**حفظة وعساس ،وأرباب شرطة يزجرون** "،وقد كان هذا الجهاز من الاولويات التي سعى المغيلي لإقامتها بتوات عمليا بعد ثورته على اليهود ،وأراد له أن يكون غير خاضع للولاءات القبلية[4].

-**جهاز الجيش:** وهو الجهاز الذي يرى فيه المغيلي الضمان لبقاء الملك بعد العدل، والجيش حسب المغيلي قسمان:

1- المغيلي: المصدر السابق، ص 36 .

2- قاسم جاخاتي: المرجع السابق، ص 107.

3- نور الدين بوكردید: "**مواقف العلامة محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي السياسية وعلاقتها بأمن الدولة والأمة من خلال رسائله إلى أمير كانو بنيجريا**"، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، المرجع السابق، ص 59.

4- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 83.

الأول: خاص بحراسة السلطان وكبار دولته وهو الأقرب موالاة.

الثاني: وهو الأكبر ووظيفته الدفاع عن أمن الدولة وجهاد الكفار[1].

ج) **الجهاز القضائي**: العدل في نظر المغيلي، هو أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، إلا أن المغيلي وضع على عاتق الدولة مسؤولية إقامة قواعد العدالة التامة والنزاهة في الأحكام، وضمان حيادية الجهاز القضائي بشكل تام فقال :"**ومن العدل أن يُسَوى بين الخصمين في دخولهما وجلوسهما والنظر إليهما والكلام معهما وغير ذلك من شأنهما**"[2]، ثُم إنه من مظاهر العدالة والإحسان في الدولة أيضا أن يعقد السلطان إلى جانب العمل الذي يقوم به جهاز القضاء جلسات يومية مفتوحة لجميع أبناء الشعب، يسمع خلالها لشكواهم ومعرفة مشاكلهم[3]، إذ يُعتبر القضاء لدى المغيلي صمام آمان لا يقل شأنا عن الشرطة والجيش في حماية كيان الدولة.

د) **الجهاز المالي**: يربط المغيلي بين بقاء الدولة والمسألة المالية بها حيث يرى بأن من عوامل انهيار الممالك والدول هو التعسف وعدم جباية الأموال بغير وجه حق فيقول " **الكف عن أموال الناس بقاء للمملكة وجمالها، والطمع في أموالهم خراب المملكة وزلزالها**"[4]، ويرى المغيلـي أن الأموال التي تحل جبايتها هي أموال الزكاة والأصناف الاخرى التي ذكرها الشارع، بدون نية سوء أو استعمال سوء وتفتيش في أموال الناس على غير وجه حق، كما حث المسؤولين على عدم تقبل الرشوة أو الهدايا المشبوهة أو فرض عقوبة مالية أو مادية لا يقرها القانون، كما وضّح أوجه صرفها وطرق إيصال الأموال إلى مستحقيها، وكذا سبل التصرف في أموال الخزينة على حسب الأولوية، وأكد على أن السلطان مسؤول مسؤولية مباشرة عن تلك الأموال وأوجه صرفها[5].

1- نفس المرجع: ص 83.

2- المغيلي: المصدر السابق، ص 43.

3- قاسم جاخاتي: المرجع السابق، ص 109.

4- المغيلي: المصدر السابق، ص 48.

5- لمزيد من التفصيل: أنظر المغيلي: المصدر السابق، ص 54 وما بعدها.

المطلب الثاني: الدولة عند عثمان فوديو (1225هـ-1810م /1233هـ-1817م):

تميزت هذه المرحلة بتغيير جوهري في أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية لبلاد الهوسا فقسم "دان فودي" الدولة إلى عدة إمارات، متبعا نظام الدواوين وسماها الولايات (اللامركزية في السلطة) فأنشأ عشرين ولاية لإدارة الدولة، وعلى رأسها مؤسسة الخلافة العامة، والوزارة، والقضاء ورد المظالم، والجهاد، وديوان الغنيمة، وديوان الصدقة، ولم يأت ذلك اعتباطا وإنما نتيجة لاجتهاد فقهي وتأصيل شريعة في كتابه " **بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد** ".

ومما يدل على القدرات التنظيمية التي يتمتع بها الشيخ تنظيمه للعلاقات التي كانت تربط سوكوتو Sokoto وبعض الجماعات القبلية التي بايعته مع احتفاظ هذه الأخيرة بخصوصياتها، مثل مجموعات قبائل الطوارق التي اقر لها بالحكم الذاتي[1]، أما على مستوى التسيير فقد استعان الخليفة الفولاني بمجلسين في تسيير شؤون الدولة:

الأول: مجلس استشاري يضم أبرز أعوان الخليفة ومساعديه في تأدية المهام المنوطة به .

الثاني: مجلس تنفيذي يسهر على وضع مراسيم وتعليمات وأوامر الخليفة ونواهيه موضع التنفيذ، ويضم هذا الأخير الوزير والقاضي والمحتسب.

أما الخليفة فقد تحددت مهامه واختصاصاته في المجالات الآتية:

- الإشراف على حقوق الرعية والمحافظة عليها داخل المجتمع وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية.
- السهر على حماية حدود الدولة الإقليمية وممتلكاتها وتحصين المدن وتسويرها لصد هجمات الأعداء والغزاة[2].

1- أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 94.

2- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 159.

ولعل إجراء مقارنة بسيطة بين نظامي الحكم في دولتي الفولاني والخلافة العباسية، يوضح بجلاء كيف أن المسلمين في غرب إفريقيا كانوا متأثرين إلى حد كبير بالأنظمة العربية الإسلامية في المشرق إبان العصور الإسلامية الزاهية، وخاصة عهد الخلافة العباسية[1]، فإن كانت خلافة الفولاني اقتصرت على سلالة الشيخ عثمان، لكن ولاية العهد كانت للأقدر والأكفأ، كما أن الخليفة الإمام في دولة الفولاني كان عام الولاية عام الاختصاص، يطبق حكمه على سائر الإقليم ويمارس سلطته في كل مجال، وله مطلق الحرية في تفويض من يشاء لمن يشاء من المهام، وهذا هو الرائج عند خلفاء بني العباس.

وهكذا فقد تمكن الشيخ عثمان من بناء الدولة الإسلامية في المنطقة[2]على أنقاض الإمبراطوريات الإسلامية التي عرفتها تلك الربوع في الأزمنة السابقة، وهذه الدولة تمتد اليوم من بحيرة تشاد شرقا حتى منحى نهر النيجر غربا، ومن الغابات الاستوائية الإفريقية جنوبا حتى الصحراء الكبرى شمالا، وبلغت فيما بين (1258هـ-1842م/1276هـ-1859م) 1500 كم من الغرب إلى الشرق، و500 كم من الشمال إلى الجنوب .

وبعد أن أطمأن الشيخ عثمان إلى استقرار الأوضاع في دولته الجديدة قرر أن يتخلى عن العمل السياسي ويتفرغ للدعوة والتدريس، فعين آخاه عبد الله على غرب البلاد واستقر في مدينة "جندو"، وعين ابنه محمد بيلو على شرقها وظل هو قائد الجميع، وأوصاهما بالعدل والإنصاف، وكان ذلك عام 1227هـ-1813م، واستقر هو في مدينة سوكوتو وواصل عمله الإصلاحي إلى أن وافته المنية عام 1871م[3]

1- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: "حركة الشيخ عثمان في غرب إفريقيا وآثارها الدينية"، حوليات كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ص 255.

2 انظر الملحق الثاني، ص 92.

3- يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 124.

نتائجها وأثارها:

✓لقد تمكن عثمان فودي في خلال خمسة عشر عاما من فتح بلاد الهوسا كلها بإماراتها وأقاليمها المختلفة، وخلع سلاطينها وأمرائها القدماء وعوضهم بحكام وولاة مسلمين،يخضعون له ولخليفته في العاصمة "سوكوتو"[1]

✓كانت هذه الحركة ثورة حقيقية على الأوضاع الاجتماعية والذهنيات الجامدة وأحدثت انقلابا جذريا، ومنعطفا تاريخيا حاسما في توجيه حياة المجتمع الإفريقي

✓إنَّ الدعوة الإسلامية استطاعت أن تحافظ على الهوية الإسلامية في منطقة غرب أفريقيا إلى اليوم؛ على الرغم من الهجمة الشرسة التي تبنتها الدول المستعمرة وساعد على تنفيذها أرباب التنصير لمحو الإسلام وآثار الممالك الإسلامية التي قامت في المنطقة.

✓كما تركت هذه الدعوة آثاراً جليلة في النواحي الدينية(العقائدية) والاجتماعية(السلوكية)، والثقافية(التعليمية)، بالإضافة إلى الجوانب السياسية والاقتصادية والقضائية، وبهذا حافظت الدعوة على الكيان الأفريقي المسلم المتكامل الجوانب، بحيث ساهمت في إرساء أركان الحضارة الإسلامية بتبنيها بناء العديد من المساجد على طراز إسلامي، ودور للعلم، وملاجئ للأيتام، وبناء المدارس، بل وصل الأمر إلى إنشاء جامعات ومكتبات علمية ومستشفيات ومستوصفات علاجية، بالإضافة إلى حفر الآلاف من الآبار في كثير من البلدان الأفريقية، وجلب المساعدات لها من العالم الإسلامي العربي على وجه الخصوص.

✓أعادت تلك الدعوة الإصلاحية أجواء الأمن والاستقرار ولم شمل المنطقة.

✓كما ساهمت في تصحيح بعض المفاهيم والانحرافات التي وقعت في المجتمع الإسلامي، بفعل عوامل ومؤثرات خارجية أو محلية كثيرة، وبتصحيح بعض العقائد الفاسدة، والمفاهيم والأفكار الخاطئة، سواء كانت الوافدة، أم المحلية.

✓فجرت تلك الدعوة ثورة ثقافية وحركة فكرية غير مسبوقة في مجتمعات غير إفريقيا، من خلال الكتب التي ألفها رواد الدولة ورجالاتها التي شملت فروع العمل والمعرفة، وصارت تلك

---

1 يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 125.

المؤلفات حجر الزاوية لثقافة الدولة وحضارتها في القرن التاسع عشر، وخلف هذا التراث الضخم آثارا علمية من جوانب المعرفة الإسلامية وفي السياسة والتاريخ والطب والعلوم والآداب، حتى قيل أن النصف الأول من القرن 19م يمثل العصر الذهبي بسبب الإنتاج الغزير للشيخ عثمان وأخيه عبد الله وابنه محمد بللو فساهمت الدعوة الإسلامية في نشر اللغة العربية، حتى أضحت كثير من الكلمات والمفردات العربية في اللهجات الأفريقية، بسبب استعمال العربية على نطاق واسع؛ بل حتى أصبحت العربية هي اللغة الوحيدة التي تعتبر لغة التخاطب والتفاهم بين كثير من القبائل الأفريقية المختلفة الأجناس والأعراف.

وقبل وفاة الشيخ، قيم حركته ليعرف نقاط القوة والضعف، خاصة بعد الانتقادات اللاذعة التي طالته، وخصوصا من قبل شقيقه"عبد الله بن فودي "الذي عاب على الحركة الإصلاحية كونها لم تبلغ أهدافها المرجوة وغايتها المنشودة، التي من أجلها رفعت لواء الجهاد[1]، وكان موقف الشيخ مضادا ومخالفا لما جاء به أخوه، حيث رأى انه من المستحيل حمل الناس جميعا على سلوك واحد قال تعالى [2] "(ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة).

ووصف السيد "دانيل"Danil أحد الإداريين المستعمرين في بلاد الفلاني الشيخ عثمان فودي بقوله[3]"**عاش الشيخ خاتمة أعمال حياته، وجد الإسلام تحت النير فارتفع به إلى عليين، وبعد أن كان الفولاني قطيعا من البدو أصبحوا الطبقة الحاكمة في إمارات الهوسا، وكان رجلا مخلص** العقيدة ذا **إيمان ديني عميق وثقته في الدعوة الإلهية لا حدّ لها، وشخصيته تبعث الحياة في أنصاره في ثقة شبيهة بثقته في نفسه، وعاداته البسيطة في حياته الزاهرة خلقت تضاربا عميقا مع الضخامة البربرية التي تأثر بها الحكام الوثنيون، وهو وان لم يكن جنديا فهو يعزو نجاحه إلى الله**".

1- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 163.

2- سورة هود الآية 118.

3- زاهر رياض: المرجع السابق، ص 297 .

المبحث الثالث: المغيلي وعثمان دان فوديو "جدلية التأثر والتأثير":

المطلب الأول: أوجه الشبه والاختلاف بين الحركتين:

أوجه الشبه :إن كل من الشيخ المغيلي والمصلح الكبير عثمان دان فوديو يشتركان في مجمل القول عند الرغبة، بل والعمل على إصلاح الأوضاع بالمجتمع الاسلامي، وفي المناطق التي أتاحت لهّما الظروف النشاط بها، وهذا التلاقي بين الشيخين لا يتوقف عند الإصلاح الديني والاجتماعي، بل يتعداه إلى الإصلاح السياسي باعتباره الأكثر تأثيرا وتوجيها لإصلاح الفرد والمجتمع، وهو منطلق كل من النظرة المغيلية والعثمانية(عثمان دان فوديو)، بالرغم من أنه يمكن إعتبار الأخير تلميذا للأول استنادا للمعطيات التاريخية .

إذن وإن اختلفت الظروف الثقافية والعلمية والبيئية التي عاش فيها كل من المغيلي وعثمان دان فوديو بعضّها عن البعض الآخر، إلا أنه هناك كثير من السمات والعوامل المشتركة بين الحركتين يّمكن استخلاصها من الصيرورة التاريخية لشخصية الرجلين، ولعل أبرز نقاط التلاقي بين الحركتين يُمكن الاشارة إليها فيما يلي :

1) إن أول مظاهر الاشتراك بين الشخصيتين، هو النشأة في حد ذاتها، وهذا لِما لها من تأثير على شخصية الفرد عامة و العالم خاصة، فقد نشأ المغيلي في أُسرة متدينة تُقدر العلم وتحترمه، كما شب عثمان دان فوديو في عائلة متدينة انتقل العلم بين أفرادها من الأب إلى الابن، وعلى غرار المغيلي أخذ تعليمه الأول على يد والده الشيخ محمد بن عثمان[1]، ثم أن سمة الرحلة من أجل طلب العلم تجمع بين الرجلين، حيث ارتحل المغيلي إلى كل من بجاية والجزائر لطلب العلم والزيادة في المعارف وأخذ عن علماء أجلاء وهو الأمر الذي صاحبه

1- عمار هلال: "مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعثمان دان فوديو في العالم والدعوة إلى إصلاح أحوال المسلمين"، أعمال المهرجان الأول للتعريف بمنطقة أدرار، المرجع السابق، ص 88 .

في كل تنقلاته[1]، الأمر نفسه نجده عند عثمان فوديو حيث درس على يد أبيه و جدته وأمه وانتقل من مسقط رأسه بطغل إلى مدينة أغاديس حيث أخذ عن الشيخ جبريل[2].

2) ثُم إن المغيلي يشترك مع عثمان دان فوديو في المعارف المحصلة والعلوم التي درساها، فالمغيلي حفظ القرآن ودرس الحديث وعلوم الشريعة والسلوك والتصوف، والفقه واللغة العربية والأصول والتفسير على يد صفوة من العلماء-سبق ذكرهم-، وكذلك عثمان دان فوديو تبحر في العلوم الدينية واللغوية والتربوية، كما كان حاملا لكاتب الله، واشتهر العلماء الذين أخذ عنهم بأنهم أعلامه عصرهم ومشهود لهم بالفضل والعلم[3]، وبالتالي جاء تكوينهما متقاربا نوعا ما وهو الأمر الذي كان له التأثير البالغ على فكر وعمل الرجلين.

3) يتجلى الشبه بين الشيخين في العمل الإصلاحي والدعوي لكل منهما، فقد كانا متحمسين لإعلاء كلمة الله وتطبيق الشرع، غير منفصلين عن الواقع الاجتماعي والسياسي لعصرهما، فكما أنكر المغيلي على الحكام المسلمين خروجهم على التقاليد الاسلامية في الحكم، وخرج من تلمسان مسقط رأسه، وقصد توات وحارب اليهود فيها، ثم انتقاله إلى السودان الغربي وممارسته الدعوة والإصلاح والاستنصاح للحكام[4]، نجد كذلك عثمان دان فوديو يصل إلى مرحلة من النضج العلمي والفكري والسياسي بحيث انبرى لإصلاح المجتمع مما تفشى فيه من مفاسد أخلاقية، وما مسَ الدين من بدع، وما أفسد السياسة من سلوكيات; بناءاً للدولة الإسلامية على أسس سليمة[5].

4) إن المغيلي والشيخ عثمان دان فوديو، وبالرغم من البعد الزمني إلا أن مشارب الرجلين الفكرية ظلت واحدة، فالمغيلي مالكي المذهب، ونستشف ذلك من خلال مؤلفاته على غرار النازلة اليهودية والتي تُوضح رسائله اعتماده الكلي على ألآراء المالكية مثل ابن القاسم والقرطبي ورأي الطرطوشي في"**سراج الملوك**"، وابن ماجشون، وكذا أراء الإمام مالك بن أنس

1- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 39.

2- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 132.

3- نفس المرجع، ص 135.

4- عمار هلال: المرجع السابق، ص 89.

5- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 135.

نفسه[1]، وهو المذهب الذي انتمى له عثمان دان فوديو، الشيء الذي نستشفه من آراءه الفقهية، حيث ظل الشيخ عثمان طوال حياته مالكيا يفتي للناس على مذهب الإمام مالك، ومؤلفاته خاصة كتاب "**أرشاد الامة**" تؤكد على ذلك.

إلا أن تلاقي النظرة الفكرية المغيلية بالعثمانية الفودية لا تقف عند الانتماء الفقهي المذهبي فقط، بل تتعداه إلى التجديد الفكري، حيث لم يتعصب الشيخ المغيلي لأرائه ولو فعل ما كان ليُسافر إلى فاس ويناظر العّلماء هناك، وقبلها بتوات وتلمسان، ولما حاور العّلماء بالسَودان الغربي والمشرق، وهو ما ينطبق على الشيخ عثمان دان فوديو الذي قال: " **أنّه إذا تواجدت هذه المذاهب** [يقصد السنية] **فيجوز الافتاء بأي منها حتى لا يُشَقّ على الأمة** " بل ذهب أبعد من ذلك حينما حاور سلطان جوبير، وراسل زعماء القبائل بما فيهم الفلان وحاورهم، شارحا لهم أفكاره، وعليه يتضح لنا أنَ الشيخ عثمان فوديو، وعلى شاكلة المغيلي لم يكونا منغلقين بل كانا منفتحين، عالمين بالأحوال الاجتماعية والنفسية والمفاسد الأخلاقية بمجتمعيهما[2].

5) إن الشيخين المغيلي وعثمان دان فوديو يجتمعان كذلك في الطريقة الصوفية حيث يتبعان القادرية، ولهما عدة مؤلفات في التصوف تجمع بين الرؤية المغيلية والعثمانية الفودية، فالأول يّعد شيخ القادرية بتوات، ومن بين الذين نقلوها إلى السَودان الغربي، والشيخ عثمان إبن العائلة التي إحتضنت القادرية، وهذا ما ساعدهما على كسب الأتْباع والمُؤيدين بشكل كبير، كما تتضح الصّوفِية في منهج تعامّلِهما السلمي والحواري في بدايات دعوتيهما الإصلاحية، إلا أن المنهج التصوفي الّذي اعتمده الشيخ المغيلي والشيخ عثمان دان فوديو لم يكن بتلك الصورة الإنعزالية القائمة على الزهد المطلق، والابتعاد عن الواقع المعاشي والاجتماعي للمجتمع، بل إنَ الدارس لكل من مؤلفات المغيلي في التصوّف مثل "**تنبيه**

1- الصديق حاج أحمد: "ظلال وملامح المذهب المالكي في رسائل الشيخ المغيلي"، "الملتقى الدولي الثالث عشر حول المذهب المالكي تاريخ وآفاق"، الجامعة الأفريقية بأدرار، أيام28- 29- 30، نوفمبر، 2010، ص 482.

2- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 145.

الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"و"**فتح الوهاب في رد الفكر الى الصواب** "[1]، وكذا مؤلفات الشيخ عثمان دان فوديو مثل"**فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**"وكتاب "**الفرق بين علم التصوَف للتخلق وعلم التصوَف للتحقق**"[2]يفهم معنى التصوَف الذي يدعو إليه كل من الشيخين، وهو ببساطة التصوَف القائم على الزهد في الدنيا، دون الزهد في العلم بأصنافه النقلية والعقلية والعمل على التغيير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس هناك خير دليل على فكر الشيخين السليم والَذي جمع بين المادة و الروح؛ من عملهما الاصلاحي الَذي قاد عملية تغيير كبرى في المجتمعات التي نشط بها كل من الشيخين.

6) يُمثل العمل الإصلاحي السياسي القائم على الجهاد أحد أكثر أوجه الشبه بين الحركتين المغيلية والفودية، وذلك لإعتمادهما على العمل الجهادي كآخر مرحلة من مراحل الإصلاح، فالمغيلي أعلن الجهاد ضد اليهود بتوات لِما لهم من إمتيازات ومنزلة سامية لدى الحكام، ولِما طرأ على وضعيتهم غير الطبيعية والشرعية ببلاد الإسلام، كما أننا نجد نفس العمل الجهادي يقوم به الشيخ عثمان دان فوديو الَذي أعلن الجهاد ضد الوثنية المحلية، فكان الأوَل أن أجلى اليهود من توات والثاني أن غير الواقع الاجتماعي والسياسي لممالك الهوسا السبع[3]، ثُم إنه كما قام المغيلي برحلات سياسة مست كل من توات وفاس وإفريقيا الغربية، يستنصح خلالها للحكام وأهل الرأي والتأثير في المجتمعات[4]، كذلك فعل عثمان فوديو بخروجه من مسقط رأسه في شمال نيجيريا والتنقل إلى أرض آبائه وأجداده ببلاد التكرور في السينغال حاليا، وإعداده العُدَة لإعلان الجهاد، ضد الوثنية والحكام الَذين رعوها[5].

1- خير الدين شترة: محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 520.

2- عثمان بن محمد فودي: **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، (تح) سيني مومني وسالو الحسن، ENS EDITIONS، 2012م، ص 08.

3- عمار هلال: المرجع السابق، ص 89.

4- عبد القادر رباني: المرجع السابق، ص 140.

5- عمار هلال: المرجع السابق، ص 89.

7) تتلاقى عملية بناء الدولة والسلطة وإدارة الحكم في فكر الرجلين، وتُعبر عنها أعْمالهُما فالمغيلي استطاع إضفاء مفهوم السياسة الشرَعية على الحكم والتي تهتم بإصلاح أحوال الدولة وما يضمن لها القوة، وانتظام مصالح الرَعية والسلطان معا، فالمغيلي أراد مجتمع مستقر وحاكم صالح يحتكم إلى الشَرع ويُفعل الشُورى[1]، وهو النظام الذي فعله عثمان دان فوديو بعد أن أسس الإمارة وتحديده لمجلس استشاري (شوري) وآخر تنفيذي(وظيفي)، وهو في عمله هذا متأثر بالمغيلي مثل تأثره بنظام الخلافة العباسي[2].

8) ومن الأُمور المُشتركة بين المغيلي كداعية ومصلح،وكذا الشيخ عثمان أنهما لم يهتما بالثروة والتجارة، وهو أمر مهم إذا ما تتبعنا سيرة الرجلين والاتهامات الموجهة لهما، إذ أن المغيلي تواجد خلال القرن 15م بتوات وهي الفترة التي عرفت نشاطا تجاريا ضخما بتوات، وعثمان دان فوديو ينتمي هو الآخر إلى قبيلة عُرِفت بنشاطاتها التجارية والزراعية، ورغم ذلك لم يتعاطيا هذا النشاط التجاري، وهو ما يُمثل صفاء سريرتهما وتفرغهما الكامل للعمل الدعوي الإصلاحي فقط[3].

9) ثُم إن نشاط المغيلي ببلاد السودان خاصة بإمارة كانو وسنغاي ونظرته فيما يخص الدولة الاسلامية، والتي أدت إلى تغيرات على مستوى جيلين من زعماء الهوسا مابين القرنين 15م و18م[4]، وما استحدثه المغيلي من نظم مالية خاصة بالزكاة والخراج والجزية وصرف الأموال؛ قد استمرت مع وصول الشيخ عثمان فحافظ على النظام المالي الذي وجده وعمل على تعميمه ونشره في الأقطار الأفريقية، وهذا راجع لإطِلاع دان فوديو على مؤلفات المغيلي وتبنِيه أفكاره، فعزا عثمان نفسه للمغيلي كالتلميذ الذي سمِع أو أخذ عنه مباشرة مع

1- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 92.

2- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص.ص (158- 159).

3- عمار هلال: المرجع السابق، ص 90.

4- آدم عبد الله الالوري: أعمال الملتقى الأول، المرجع السابق، ص 26.

ما بينهما من بعد العهد الذي يصل إلى ثلاثة قرون، وهو ما يدل على غاية التأثر وشدة الارتباط بين عثمان فودي والمغيلي[1].

10) كما أن الحركة الإصلاحية (السياسية) المغيلية والفودية تلتقي عند حجم الرَفض لها، والتأثيرات المترتبة عن كل منها، فالمغيلي اُتُهِم بالسعي للسلطة وقد رفض الاتهام بشدة، والدليل على ذلك أنه لما استتب له الأمر بتوات غادرها إلى بلاد السودان داعيا لله مصلحا لأحوال المسلمين هناك[2]، ثُم إن عثمان دان فوديو أُتُهِم كذلك بالطموح إلى المُلك، وأنكر عليه الكتّاب الغربيون الّذين تناولوا سيرته ومن أخذ عنهم دون تمحيص ولا تدقيق، رسالته الإصلاحية، وما يُكذب زعمهم ويُفنده هو اعتزاله العمل السياسي بعد إقامة الملك عام1810م لصالح ابنه وشقيقه، وتفرغه للتدريس والوعظ و الإرشاد[3]مقدما ابنه وأهله في الصفوف الاولى على غرار ما فعل المغيلي، وهذا إيماناً منهما بالتضحية والجهاد واللّذيْن قاداه بِنفْسيهما، كما أن الشيخ عثمان بعمله التعليمي في أواخر حياته؛ يلتقي بنفس أعمال الشيخ المغيلي لمَا عاد من السودان الغربي وعدم نجاح ثورته الثانية على أنصار اليهود بالشكل المطلوب، فتفرغ للتدريس حتى توفي.

وهذه بعض ملامح التقاء شخصية وفكر وعمل الرجلين اللّذان اتخذا المنهج السني منطلقا، والمذهب المالكي سندا، والتجديد الفكري القويم حجة في إقامة مشروعهما الإصلاحي والسياسي والذي مسّ كل من المجتمع ونظام الحكم بالصحراء الأفريقية شمالها وجنوبها خلال القرنين 15م و 18م.

1- آدم عبد الله الالوري: **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الاسلامية في القرون الوسطى**، دار الحلبي، القاهرة، مصر، 1974، ص 34.

2- أحمد بابا: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 577.

3- عمار هلال: المرجع السابق، ص.ص (90-91).

أوجه الاختلاف: بالرغم من القواسم المشتركة الكثيرة والعميقة بين الشيخين المغيلي وعثمان فوديو، وبالتالي تقرب الحركتين من بعضهما، إلا أن هناك بعض جوانب الاختلاف بين الشيخين لعَلَ من بين أهمها نجد :

1) ظروف التعليم أول معالم الاختلاف، وهذا بالرغم من أن المغيلي وعثمان دان فوديو أخذا من نفس المشارب، ولهم نفس الظروف العائلية تقريبا -كما أشرنا سابقا- إلا أنه هناك اختلاف في ظروف النشأة والتعليم، وهو اختلاف أثر نوعاً ما على سيرة كل من حركة الشيخين، فالمغيلي عاش عصر نشاط وازدهار ثقافي راقي نبغ فيه عدد كبير من العلماء والفقهاء والكتاب والشعراء والمؤرخين، بينما عاش عثمان دان فوديو عصر انحطاط ثقافي مخيف، هاته الظروف البيئية المختلفة بين الزعيمين جعلت المغيلي يحفظ القرآن ويأخذ المعارف العلمية والدينية بسن مبكرة، في حين أن عثمان فوديو تعلم القرآن بعد الثلاثين من عمره وواصل دراسته في سن متقدمة نسبيا، ومن هنا نلاحظ أن المغيلي تعلم تعليما عاديا، وفي ظروف عادية وذلك على عكس عثمان دان فوديو الذي تأخر في دراسته تأخرا ملحوظاً، ولم يتدارك الوقت الّذي فاته إلا بمجهوداته الخاصة وإيمانه العميق[1].

2) الاختلاف الثاني وهو إختلاف لا يُفرِغ الحركتين من مضمونهما المشترك إلا أنه يتضح في الحيز الزماني والمكاني للحركتين، فالمغيلي من أعلام القرن 15م ببلاد المغرب العربي وإفريقيا الغربية، وكما توضح جملة من المصادر من بينها نيل الابتهاج أن ميلاده كان بتلمسان إلا ان نشاطه الدعوي كان خارجها بحيث قامت دعوته الإصلاحية بتوات، لِينتقل بعدها إلى ممالك السودان الغربي[2]، في حين أن عثمان دان فوديو من أعلام القرن 18م،

1- عمار هلال: المرجع السابق، ص.ص(87 88).

2- أحمد بابا: المصدر السابق، ص 577.

وقد شملت حركته مناطق واسعة من غرب افريقيا وهي مناطق سكنه و ترعرعه[1]، فكان الشيخ عثمان أن عاصر الفترات الأُولى للمد الاستعماري الغاشم .

3) من مظاهر الاختلاف كذلك، رغم المرجعيات والأهداف شبه الموحدة نجد الطرق المتتبعة من طرف كل من الشيخين في الدعوة والإصلاح، فالمغيلي اتبع أسلوب الحوار والتقرب من الأُمراء والملوك خاصة بأفريقيا الغربية؛ وهذا راجع لأمرين أساسيين الأول: هو أن المغيلي اتخذ الحوار مع الملوك والنصح لهم وسيلة فعالة للوصول إلى كثير من الغايات[2]، بحيث إن صلاح الراعي في نظره يؤدي إلى صلاح الرعية ، الأمر الثاني: هو الوضع السياسي في بلاد السودان والذي تميز بوجود حّكام على غرار محمد رومفا والأسقيا الحاج محمد الكبير، لديهم كل الاهتمام بإصلاح الرعية وتقويم السلوك المجتمعي بما يتلاءم مع العقيدة الاسلامية وكذا رغبتهم في بناء أنظمة حكم إسلامية تخضع للشريعة وأحكامها[3]، وهذا ما يُفسر اقتراب المغيلي من هاته الأنظمة، في حين أننا نجد الشيخ عثمان دان فودي يّعلن الجهاد ويستبيح أرواح وأموال الوثنيين والعابثين بالدين، ولمع نجمه كمحارب شديد البأس، يّحارب الحُكام لرعايتهم الفساد والظلم[4]، وموقف الشيخ عثمان دان فوديو ينطلق من الواقع الاجتماعي الّذي سادت به البدع والخرافات، ومن الوقع الديني والعلمي والذي تصدره علماء لا يفقهون الشَرع على أصوله، ومن واقع سياسي ظهر فيه فساد الحاكم وحاشيته واضح للعيان.

4) تختلف الحركة المغيلية والفودية كذلك في العنصر المّحرِك لكل حركة إصلاحية منهما، خاصة في شقها الجهادي، إذ أن المغيلي حاول كل الجّهد بأن يجمع من حوله الأتباع والمناصرين له من كل القبائل والبطون بتوات، وهو سبب تنظيمه لقصائده التي كانت من أجل حشد الهمم وكسب الرأي العام، وهذا بالرغم من أن العنصر القبلي كان له دور بارز

1- علي يعقوب: "**الخلافة العثمانية في سكت ودورها في غرب افريقيا**"، مقال بمجلة **قراءات افريقية**، مجلة فصلية متخصصة في الشؤون الافريقية تصدر عن المنتدى الاسلامي، متاحة على الرابط www.qiraatafriam.com، (ع)11، مارس 2012م، ص 04.

2- أحمد أبا الصافي جعفري: المرجع السابق، ص 18.

3- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، المرجع السابق، ص 160.

4- عمار هلال: المرجع السابق، ص 90.

في نشاط المغيلي كقبيلة أولاد يعقوب[1]، إلا أنه ليس على تلك الصورة مثل ما كان عند عثمان دان فوديو، والذي أعتمد في تكوين دولته على قبائل الفولاني[2]، فكان لوحدة العنصر في الحركة الفودية الأثر البالغ والأكثر وضوحا منه عند المغيلي.

5) تمتد الفروق بين الحركة المغيلية والفودية وتتجلى في نتائج الحركتين بشكل أكبر، إذ أن الحركة المغيلية بشقيها التواتي والسوداني الغربي لم تؤدي إلى قيام الدولة الاسلامية بالمفهوم المغيلي المطلق، فالإمارة الّتي أقامها بتوات وأنشأ معها أجهزة من أهمها الجهاز الشرطي لم تكن ناجحة بالقدر الّذي كان يتصوره المغيلي، وحادثة مقتل ابنه عبد الجبار وعودة النشاط اليهودي بتوات تؤكد ذلك[3]، أما بالنسبة لنشاطه بالسودان الغربي فكان تعليميا وإصلاحيا بالمجتمع، وتنظيريا توجيهيا وإرشاديا مع الحكام والأمراء، وعلى الرغم من أنه لا يّمكن إغفال هذا الجانب من نشاط المغيلي ببلاد السودان ومدى مساهمته في إنشاء حكم اسلامي راشد يخضع للضوابط الشرعية ويحفظ المقاصد الخمسة للشريعة بتلك الأماكن الحديثة العهد بالديانة الاسلامية في وقته، إلا أنه لا يرقى إلى الهدف الذي كان ينشده المغيلي وهو الّذي لم يتسنى له الوقت والظرف تطبيقه بتوات، إلا أن الشيخ عثمان دان فوديو استطاع إقامة دولة اسلامية وإخضاع ممالك الهوسا لأول مرة كُلها لحكم إسلامي بدأه عثمان فودي منذ عام 1804م وأمتد على مدى قرن من الزمن حتى سقوط دولته على يد الانجليز عام 1903م، حاول خلال هذه الفترة أحد عشر خليفة له الحفاظ على كيان الدولة الاسلامي[4]، وما هذا التباين في نتائج الحركتين إلا نتاجا طبيعيا لظروف وعوامل ظهور كل من الحركتين، فالاختلاف في النتائج انعكاس صحي للاختلاف في الظروف المحيطة بكل حركة على حدى.

1- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 125.

2- أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 165.

3- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 134.

4- علي يعقوب: المرجع السابق، ص 07.

المطلب الثالث: معالم التأثير والتأثر بين المغيلي وعثمان دان فوديو:

لقد خلف المغيلي خلفه إرثا علميا وفكريا زاخرا وهاما، وخاصة بالسودان الغربي والتي قضى بها معظم عمره الاصلاحي، وحسب الدكتور عبد الله الالوري من نيجيريا "**فإن المغيلي من العلماء الأساسين الذين لعبوا دورا أساسيا في التاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي بالهوسا ابتداءاً من السنوات العشر الأخيرة من القرن 15م ليمتد تأثيره إلى نهاية القرن 19م**"، وبالتالي ففي هذا الجزء من بلاد السُودان تبرز أهمية نشاط المغيلي من خلال بحوث الشعوب التي درَس أجدادهم وعاش معهم، وكذا من خلال الباحثين الذين كلما تناولوا تاريخ المنطقة اعتمدوا آثار المغيلي كمرجع في دراساتهم على غرار أبحاث السكوتيين خلال القرن 19م و20م، وهي دراسات أخذت بُعدا عميقا، وهذا ناتج عما جاء به المغيلي من أفكار أدت بدورها إلى إحداث تغيرات كبيرة ببلاد السُودان الغربي[1]، إذ أن أعمال المغيلي في الدعوة والإصلاحٍ بقيت راسخة في المجتمعات التي نشِط بها، وامتد تأثيره عبر أجيال متلاحقة، نظرا للأثر الذي تركه في سياسة الحُكام، ناهيك عن الأفكار الإصلاحية التي حوتها مؤلَفاته[2]، فكان أن أدى تطبيق نظرته على مستوى جيلين من زعماء الهوسا مابين القرن 15 و 16 و 18م إلى تغيير جذري في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ببلاد الهوسا، تُوِجت في النهاية بإقامة دولة إسلامية على يد الشيخ عثمان دان فوديو[3].

فكان أن تبنى الأخير آثار المغيلي وفتاواه ورسائله ووصاياه وتأثر بسيرته في الدفاع عن الإسلام بالقول ثُم بالجهاد حتى صار ينقُل عن المغيلي من كتبه كأنما ينقل عنه مشافهة[4]، حيث إننا لا نكاد نجد مؤلفاً من مؤلفات الشيخ عثمان يخلو من الإشارة للمغيلي والنقل عنه والرجوع إلى وصاياه وفتاواه ورسائله، والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوته

1- آدم عبد الله الالوري: أعمال الملتقى الأول، المرجع السابق، ص 25.

2- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 156.

3- آدم عبد الله الالوري: المرجع السابق، ص 26.

4- آدم عبد الله الالوري: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، المرجع السابق، ص 33.

وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركته الجهادية والإصلاحية والدعوية، ولا سيما أن هذه الحركة قد واجهت كثيراً من الخصوم لا من العوام فقط، ولكن من بعض العلماء[1] والأمراء أيضاً وقامت في وجهها حملات من التشكيك والتشويش في العديد من القضايا الدينية والدنيوية، فكانت فتاوى المغيلي وكتاباته بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار هي الحجة الدامغة من بين الحجج التي اتكأ عليها ابن فودي وأنصاره[2].

وإذا كان للمغيلي كتباً عديدة في العلوم مختلفة كالفقه والحديث والتفسير والتوحيد والوعظ والمنطق والبلاغة واللغة والأدب والسياسة الشرعية، فإن أربعة من هذه الآثار العلمية هي التي حازت أكثر من غيرها على اهتمام منظري ودعاة الحركة الفُودية، وهي الرسائل الثلاث التي ألفها خلال إقامته بالسودان الغربي استجابة لطلب سلطاني "كانو" وسنغاي، بالإضافة إلى رسالته الرابعة التي كان قد ألفها في نازلة يهود توات[3] .

وهكذا، فإننا إذا عدنا مثلاً إلى كتاب:"**سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان**" لعثمان بن فودي، فسنجد أنه قد قسمه إلى عشرة فصول قصيرة اعتمد فيها المؤلف اعتماداً كلياً على المغيلي، ونقل في تسعة فصول منها أكثر كلامه في أجوبته "للأسقيا"، فلو تم حذف هذه النقول والنصوص "المغيلية" لما بقي فيه شيء يذكر سوى فقرات قليلة، وجمل لا تعدو أن تكون تعليقاً أو وسيلة ربط بين هذا الكلام أو ذاك.

1- مصطفى الغديري: "أسرة آل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا"،'أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء'، أيام12-14،1998م، منشورات، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1998م، ص 282.

2- عبد العلي الودغيري: "ملامح من التأثير المغربي في الحركة الاصلاحية للشيخ المجدد عثمان بن فودي"، مجلة التاريخ العربي، مجلة علمية محكمة، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، (ع) 50، 1996م، متاح على "http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad11partie6.htm"، تاريخ الإطلاع 2013/04/09م، على الساعة 15:30 مساءا، ص 10.

3- مبروك مقدم: الأمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، المرجع السابق، ص 276.

وفي رسالة أخرى لعثمان بن فودي بعنوان "**تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان**"نجد المؤلِف قد خصص فصلاً منها (وهو السادس) لذكر وصية الشيخ المغيلي لمحمد بن يعقوب"سلطان "كانو" بالإضافة إلى نُقُول منه وإشارات إليه في مواضع أخرى، وفي رسالته المسماة "**مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان**" ينقل أيضاً عن أجوبة المغيلي "للأسقيا" في مواضع متفرقة ويحتج بأقواله وآرائه[1].

وللشيخ عثمان كتاب بعنوان "**كتاب تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان**"، ينقل فيه عن المغيلي في أجوبته "لأسقيا"، وعنه في "**مصباح الأرواح**" في مواضع مختلفة، ثم يختم الكتاب بنقل الترجمة التي خصه بها أحمد بابا فيقول:"**هذا كلام المغيلي في "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" رضي الله تعالى عنه، ونريد أن نورد ترجمته التي أوردها سيدي أحمد بابا في كتابه "نيل الابتهاج" وكتابه "كفاية المحتاج" ليُعْلَم أنه عالم سُنِّي قدوة...**". وفي نهاية الترجمة التي يوردها، يعقِّب بقوله: "**وقفْنا بحمد الله تعالى على بعض تواليفه** [يقصد المغيلي] **وانتفعنا بها، منها كتاب "المسائل" الذي ألفه لأبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانو وغيرها، جزاه الله عنا الخير وجمعنا معه في علالي جنة الفردوس آمين**"[2].

ويظهر تأثير المغيلي في عثمان دان فوديو في مُؤلَفه والذي سماه "**أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل**"، اقتدى فيه اقتداءً تامّاً بكتاب المغيلي لأمير كانو محمد بن يعقوب، المطبوع باسم "**تاج الدين**..."حيث لخص الأبواب الثمانية لكتاب المغيلي حول نصح الأمراء، وأما كتابه "**ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام**"، فقد خصص فصلاً منه لوصية المغيلي التي كتبها لأمير كانو مع شيء من الاختصار والتلخيص وختم بالقول: "**واعلم أن جميع ما ذكرته في هذا الفصل، فهو ملخص من كتاب محمد بن عبد الكريم التلمساني**"،

1- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 11.

2- نفس المرجع، ص 12.

إذن اجتهادات عثمان فودي والتي حوتها مؤلفاته تستند على مؤلفات وأفكار المغيلي بشكل واضح وأساسي[1].

على أن تأثير المغيلي في الشيخ عثمان لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي نجدها تتردد في جل كتاباته، بل لقد تجاوز ذلك إلى الاقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع ومنهجه في الدعوة، إلى العمل بآرائه والاقتداء بأفكاره واعتمادا على افكار المغيلي وفتاوه اعتبر عثمان دان فوديو زعماء الهوسا وأتباعهم غير مؤمنين ويجب جهادهم[2]؛ بل وصل تأثير المغيلي في عثمان فودي إلى حد أن عزى الأخير نفسه للأول كالتلميذ الذي سمِع عنه مباشرة، مع ما بينهما من بعد العهد الذي لا يقل عن ثلاثة قرون![3]،حيث يقول ابن فودي في كتابه حصن الإفهام:"**وسئل شيخنا محمد بن عبد الكريم التلمساني عن تحليل المطلقة ثلاثا...**"، فأخذ ابن فودي فتاوى المغيلي الفقهية واستدل بها ونسب نفسه له كتلميذه وهذه أحد صور التأثير بين المغيلي وعثمان فوديو[4]، فإذا أضفنا إلى كل هذا ما سبق قوله عن صوفية المغيلي وريادته في نشر الطرقة القادرية بالسَودان جنوب الصحراء وما أوردناه من اتصال سند الشيخ عثمان بسند المغيلي، وعرفنا ما كان عليه ابن فودي من إتباع لهذه الطريقة حتى أصبح له وردّ خاص به، وله في ذلك كتابات منها رسالته عن "**السلاسل القادرية**، وقصائد في التوسل بالشيخ الجيلاني[5]، وكتاب "**ولما بلغت**" والذي يعرض فيه

1- آدم عبد الله الالوري: "الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي"، أعمال المهرجان الثقافي الأول، المرجع السابق، ص 27.

2- نفس المرجع، ص 27.

3- آدم عبد الله الالوري: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، المرجع السابق، ص 34.

4- نفس المرجع، ص 43.

5- عبد العلي الودغيري : المرجع السابق، ص 13.

الشيخ نظرته للتصوف ومنهجه القادري؛ اتضح لنا جانب آخر من جوانب تأثر هذا الشيخ بالإمام المغيلي[1].

كما إن ابن فودي مالكيٌ يتمسك بآراء علماء المالكية ،خصوصاً منهم المغاربة كابن فرحون وابن الحاج، لهذا جعل كتابه "**إحياء السنة**" على نمط "**المدخل**" لابن الحاج[2]وهو هنا متأثرا بالمرجعيات التي اعتمدها المغيلي فقهيا، وهي مرجعيات مالكية خاصة العلماء المغاربة وبالتالي كانت آراءهم في أهل الذمة تستند لرأي فقهي واحد[3].

ثُم إنه من يتتبع أفكار عثمان دان فوديو الإصلاحية يجدها لا تختلف في شيء في سعيها ومراميها عن الأهداف التي توخاها المغيلي في حركته، بل إن من بين عوامل نجاح الحركة الفودية وتميزها هو اعتماد آثار المغيلي وفتاواه ورسائله ووصاياه والتي توارثتها قبائل الفولاني ببلاد الهوسا جيل عن جيل[4]، وهذا ما جعل من الأستاذ عبد الله من نيجيريا يقول:"**لم يخلد التاريخ أثرا لعالم عربي، غربي أو شرقي، مثل ما خلده للإمام المغيلي في غرب أفريقيا عموما، وفي نيجيريا خصوصا**"[5].

إذن يتضح مما سبق أن معطيات التأثر والتأثير بين المصلحين المغيلي وعثمان فوديو متوفرة ومتنوعة برغم البعد الزمني بينهما، فكانت الأعمال الإصلاحية للشيخ المغيلي سواء بتوات أو بالسودان الغربي محل دراسة زعماء الهوسا وفي مقدمتهم الشيخ عثمان، وهذا لما مثلته تلك المحاولات الحثيثة للمغيلي من أجل تغيير الواقع الديني والاجتماعي والسياسي المتدهور للمجتمعات التي زارها ونشِط بها، وهو نفس الأمر الذي سعى له عثمان دان فوديو، وخاصة في الجانب السياسي الشَرعي منه.

1- عثمان بن محمد فودي: المصدر السابق، ص08.

2- آدم عبد الله الالوري: المرجع سابق، ص 36.

3- الصديق حاج أحمد: المرجع السابق، ص 484.

4- عمار هلال: المرجع السابق، ص.ص(93-94).

5- آدم عبد الله الالوري: المرجع السابق، ص 31.

خاتـــمـة:

وفي ختام هذه الدراسة واعتماداً على ما سبق ذكره وعرضه يمكن استخلاصّ جملة من النتائج التالية:

– يُعتبر الإمام المغيلي من العُلماء البارزين الذين اشتهروا بفكرهم الإصلاحي التجديدي، وبإخضاع الواقع الاجتماعي والسياسي والديني بالمجتمعات الإسلامية للنقاش بعيدا عن التعصب الديني أو التحليل الظاهري، وهذا ما جعله يقود حركة تغيير بإقليم توات، وممالك السودان الغربي خلال القرن15م، كما نجد الشيخ عثمان فوديو كذلك يُعد من أبرز علماء العصر التجديدي خلال القرن 18م في العالم الإسلامي؛ فهو من أعلام الإصّلاح ليس بالسودان الغربي فقط ، بل إن أفكاره كانت بحاجة لها عموم البلاد الإسلامية .

– يَتضح جليا أن الشيّخين وبرغم فارق الثلاث قرون التي بينهما، إلا أن معالم الإشتراك ونقاط الإجتماع بينهما متعددة ومتنوعة، فالمغيلي عالم ومصلح ديني وسياسي يرى بأن الإصّلاح لا يتوقف عند القول؛ بل يتعداه إلى العمل الإصلاحي ولو في شكله الثوري على الأوضاع، وهذا ما قام به عند إجلاّء اليهود من منطقة توات، ثُم مغادرته إلى بلاد السودان لمدة تزيد عن العشرين(20) سنة قام خلالها بعمل إصلاحي ظل تأثيره حتى زمن عثمان فوديو،هذا الأخير الذي أعتمد أفكار وأعمال المغيلي خلال بنائه لدولة الفولان بغرب أفريقيا.

– من النتائج المتوصل إليها أن المغيلي وعثمان فوديو يلتقيان ليس في العمل الإصلاحي الذي قاداه؛ بل حتى في التنظير لكيفية الإصلاح، فالشيخ المغيلي اعتبر أن صلاح الرَعية من صلاح الراعي، وعدّ أن صلاح المجتمعات يبدأ من الإصلاح السياسي الذي يمّس الدولة والسلطة؛ باعتبارها قائمة لخلافة الناس في إقامة الدين وسياسة الدنيا، وهي نفس التوجهات التي عمل بها عثمان فوديو ببلاد الهوسا خلال القرن 18م عند إقامته للملك.

– دعم المغيلي عمله الإصلاحي والدعّوي والسياسي بتوات والسودان الغربي بكتابات ورسائل تعدت الخمسين(50) مؤلفا، ومناظرات بيّن من خلالها أرضية بناءه لفتاواه ومواقفه

الشرعيّة والسياسية حتى تحقق له الانتصار في الجانب الفقهي التنظيري، ثُم العملي والواقعي، فقام بتوات بسحب السلطات من رؤساء القبائل وأجلى اليهود، وأقام جهاز الشرطة ورسم معالم حكم إسلامي قائم على الشرّع وإقامة العدل بتوات، كما حاول القضاء على الولاء القبلي، وهي أعمال إصلاحية يُمكن اعتبارها في خانة الأعمال السياسية؛ وهو ما نجده عند عثمان دان فوديو الذي استطاع توحيد إمارات الهوّسا لأول مرة تحت حكم إسلامي واحد وأنشأ الدواوين وأقام القضاء والوزارة ومجلس استشاري وتنفيذي، وهي إصلاحات سياسية أثرت في الوضع الاجتماعي والاقتصادي والديني لسكان بلاد السودان الغربي، ما جعل من خلافته تمتد لقرن من الزمن حتى 1903م عند سقوطها على يد الإنجليز، وقد أثرى عثمان فوديو نشاطه بتآليف وكتب ناهزت المائة(100) أوضح من خلالها سعة إطلاعه وكذا عمق تأثره بالمغيلي كذلك، فكانت النظرة المغيلية والفودية للمسألة السياسية تجديدية ليس من حيث الأطروحات التي جاء بها الشيخين فقط، بل حتى من ناحية الإنجاز والتطبيق التاريخي.

– تُمَثِّل الطريقة الصوفية القادرية مَعْلم تقارب بين الحركتين، فالمغيلي من أوائل الذين نقلوا القادرية إلى السودان الغربي، وقد كان مقدمها بتوات قبل ذلك، في حين أن الشيخ عثمان فوديو من عائلة توارثت بالعلم قيادة القادرية، لكن سيرة الرّجُلين تُوضّح بجلاء أن منهجهما الصوفي لم يكن انعزالي قائم على الزهد المفرط والإتكالية والخضوع والاحتكام للبدع، بل على العكس تماما فإن المتتبع لشخصية وعمل الرجّلين يفهم أن التصوّف الذي دعيا له يستند إلى العمل على تغيير المُنكر بحجة اللّسان ثُم بالجهاد، وكذا تربية النفوس على تحكيم العقل واحترام حدود الشرع، وليس التصوّف الذي ارتبط بصورة نمطية تقول بالخضوع وعدم الخروج عن السلطان وعدم إحكام العقل، والغوص في الغيبيات والروحانيات.

– تختلف الحركتين المغيلية والفودية في عدّة نقاط، وهو إختلاف يرجع بالأساس إلى الظروف المحيطة بكل منهما فعصر المغيلي خلال القرن 15م عرف إزدهار علمي وثقافي كبير إضافة إلى أن المغيلي تمتد رقعة نشاطه من تلمسان إلى توات والسودان الغربي، وإن كان نشاطه بتلمسان محدودا، فالمغيلي قام بأغلب نشاطه، بل بالأحرى مارّس عمله الدعوي

والإصلاحي خارج بيئة نشأته، لكن الشيخ عثمان فوديو والذي ظهر بعد حوالي ثلاث قرون من عصر المغيلي وذلك خلال القرن 18م فقد عرف وقته إنحطاط ثقافي مخيف خاصة ببلاد السودان التي وصلها الإسلام في فترة متأخرة نسبيا، وعلى عكس المغيلي فإن عثمان دان فوديو نَشط بممالك الهوسّا على وجه التحديد وهي بيئته الأصلية.

– تجلى هذا الاختلاف في الشق السياسي للحركتين، إذ أن المغيلي بناءاً على ظروفه اتبع أسلوب الحوار والنصح للحاكم خاصة بإفريقيا الغربية، وهذا راجع لِما كان لهم من تقبُل النصيحة، بل والرّغبة في الإصلاح؛ فاستغل المغيلي هاته الميزة لدى حكام ممالك السودان الغربي على غرار حاكم 'كانو' وحاكم 'سنغاي'، وهذا ما لم يتوفر له بإقليم توات أين تلقى الرفض من أهل الزعامة هناك، فكان لنصحه للحكام ممالك السودان واتخاذهم له مستشارا، أن أدىّ إلى تغيُرات على المستوى السياسي والاجتماعي والديني للمجتمعات الإفريقية نهاية القرن 15م ومطلع القرن 16م، في حين أن الشيخ عثمان فوديو اتبع أسلوب المجابهة مع الحكام الذين استباحوا أحكام الشريعة وحاربوا الإسلام، وبالتالي أعلن مقاطعة حاكم جوبير، والجهاد ضده وغيره من الحكام الذين شجعوا العادات الوثنية؛ وبالتالي كان الاختلاف بين ظروف الحركتين صَاحِب أثر واضح في مسار الإصلاح لدى الرجلين .

– مثّل العنصر المّحرِك للحركة الإصلاحية والفعل السياسي للمغيلي وعثمان فوديو،عامل إختلاف بين الشيخين؛ حيث أن المغيلي حاول الاعتماد على الأتْبَاع الذين يدعمون فكره وسعيه في أجلاء اليهود، عَامِلاً قدر الإمكان على عدم استدعاء العنصر القبلي في عمله الإصلاحي بتوات، رغم أنه لم يتحرر منه بالكامل؛ وهذا هدف انشائه لجهاز الشرطة – كما أشرنا– إلا أن عثمان فوديو في حركته الإصلاحية السياسية اعتمد على قبائل الفولان بشكل لافت، وهي التي ينتمي إليها مما عزز موقفه، وذلك برغم أن دعوته لم تكن قائمة على تمكين الفولان دون غيرهم؛ ومن خلال وحدة العنصر إضافة إلى العوامل الأخرى المذكورة أستطاع دان فوديو أن يقيم دولة قوية على أنقاض الإمارات السبع امتدت لمدة قرن من الزمن، في حين أن المغيلي لم يدم له ذلك الزخم الإصلاحي طويلاً بالشكل الذي أراده له،

فسرعان ما عاد اليهود إلى مواقعهم وتم قتل ابنه عبد الجبار، وهذا راجع لعدة أسباب من بينها غياب وحدة العنصر في الحركة المغيلية بالصورة الموجودة عند عثمان فوديو.

وما التقاء الجهود التي بذلها المغيلي في ميدان الإصلاح وبناء الدولة، بمجهودات الزعيم الإفريقي عثمان فوديو، مسلكا وغاية وهدفا، إلا دليل قاطع على الروابط التي جمعت ضفتي الصحراء الشمالية والجنوبية، والتي لم تحوي طرقا تجارية فقط، بل كانت جسرا علميا وثقافيا وحتى سياسيا ربط شعوب المنطقة قديما وحدد لهم نفس المصائر حديثا، فمثلت مؤلفات المغيلي مثلما كانت أفكاره مرجعية للعمل الإصلاحي الفودي، هذا وإن تداخلت عدة مؤثرات وخلفيات في تكوين شخصية عثمان فودي وصبغ أفكاره كإنتمائه العائلي مثلا، إلا أن الموروث الذي تركه المغيلي ببلاد السودان سواء مؤلفاً كان أو عمل ظل يُتوارث عبر أجيال من علماء السودان كذلك، كان له الأثر الواضح في نشاط وكذا بناء الدولة الفودية بممالك الهوسا؛ وفي هذا الإطار يُكمن فهم هاته العلاقة بين الشيخين واللذيْن يُمثلان نموذج من عدة نماذج أخرى مثلت بحق عُمق التواصل والتقارب الأفرومغاربي والأفروإسلامي، وهاته التراكمات التاريخية هي التي لابد من استحضارها خلال أي تقارب ثقافي واجتماعي وحتى اقتصادي وسياسي بين أقطار افريقيا الشمالية و الجنوبية.

وختاما لهذا الدراسة نُوضح بأنها لا تخلوا من خلل أو نقصان، وهذه طبيعة العمل البشري، لكنها محاولة لفهم العمل الإصلاحي لدى كل من الشيخ المغيلي ومدى عمقه السياسي وارتباطه بالتاريخ الإفريقي، والشيخ عثمان فوديو الذي يُعد من بين أهم المصلحين الذين تركوا بصمات في السودان الغربي جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث، كما هدفت هذه الدراسة إلى وضع هاته المحاولات الإصلاحية في قالبها التاريخي والذي تفاعلت فيه تأثيراً وتأثُرا، بغية الإجابة عن الإشكالية التي ترتبط بما مدى عمق الروابط التي جمعت الأقاليم الإسلامية بأفريقيا مع غيرها من مناطق الإسلام، خاصة إقليم توات و بلاد المغرب الإسلامي، وهي العلاقة التي أصبحت تحمل حساسيات كبيرة في فترتنا المعاصرة هذه.

الملحق رقم 01: مملكة السنغاي أو السونغاي مابين عامي 1493-1598م

الملحق رقم 02: امبراطورية الفولاني التي أنشأها عثمان دان فوديو خلال القرن 18م

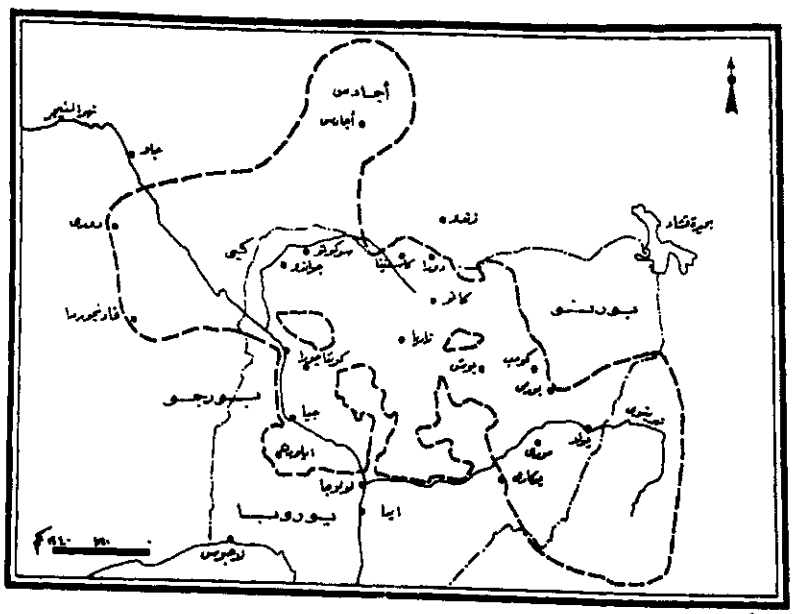

شكل (٢٢)
امبراطورية الفولاني

الملحق رقم 03: شجرة نسب المغيلي حسب مخطوط بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن

00-1

الشجرة الشريفة للعلامة محمد بن عبدالكريم المغيلي نسبا التلمساني مولدا التواتي وفاة

(831 هـ-1427م-909هـ-1503م)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبعد فهذا تقييد عمود نسب القطب الرباني والغوث الصمداني قطب الأقطاب الغوث الأكبر السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي المقبور بزاويته المسماة بزاوية الشيخ وله ضريح مشهور يزار ويتبارك ويتحفور بضريحه من كل فج عميق ويستجاب الدعاء عند ضريحه:

وهو سيد محمد بن عبد الكريم، بن محمد، بن مخلوف، بن علي، بن الحسن، بن يحيى، بن علي، بن احمد، بن عبد القوي، ابن العباس ابن عطية، بن مناد، ابن السري، ابن قيس ابن غالب، بن أبي بكر ابن أبي بكر مكرزة ابن عبد الله ابن ادريس ابن ادريس بن عبد الله الكامل، ابن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بن فقيه احمد، بن عبد الرحمن بن احمد الحبيب لطف الله به آمين. ونقلها من خطه حرفا بحرف الطيب بن عبد الله البلباني ثم التلمساني كوسلم عفا الله عنه.

الملحق رقم 04: جواب السفير الذي أرسله للمغيلي في النازلة اليهودية بتوات

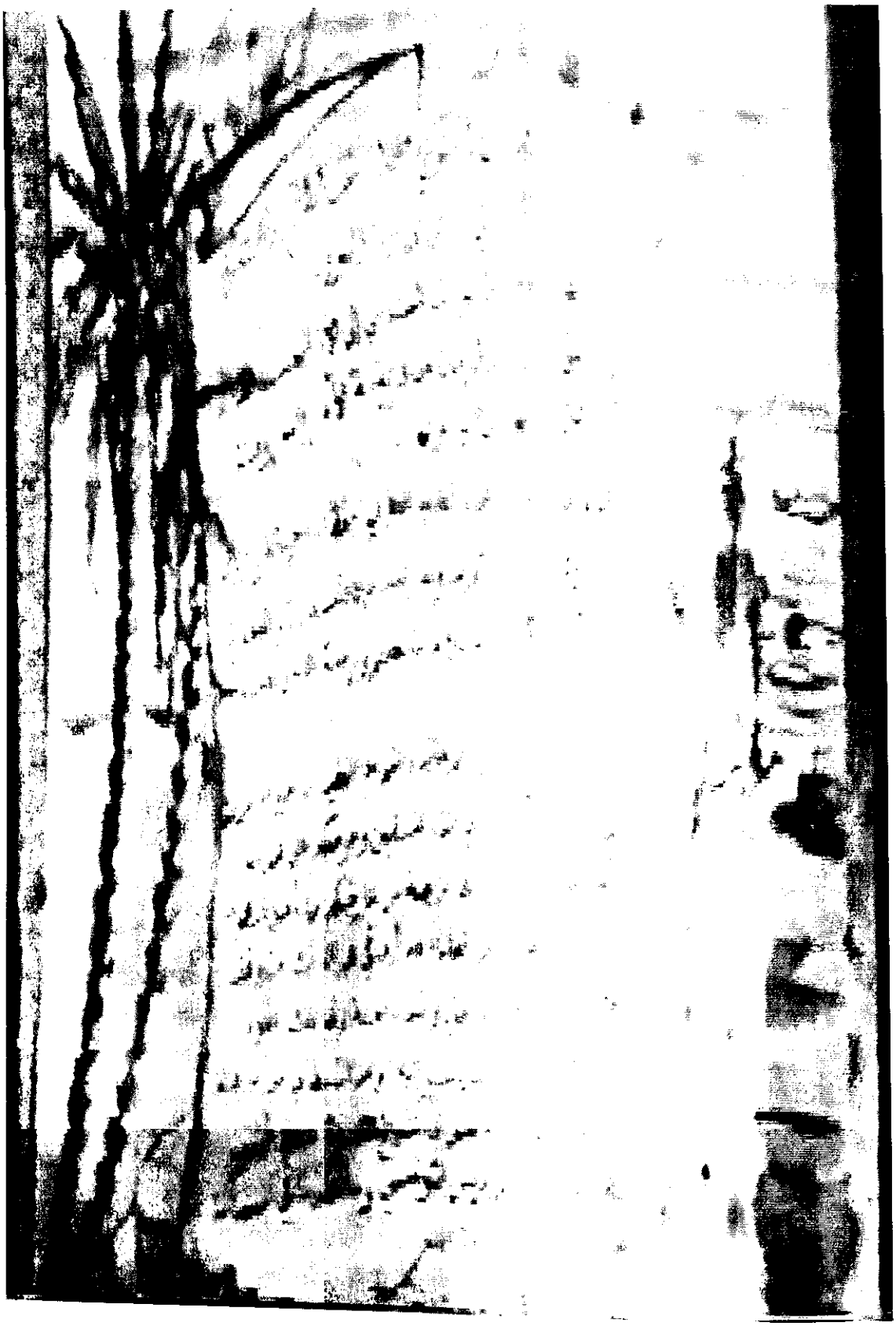

الملحق رقم05: الوجه الأول من الورقة الأولى من مخطوط رسالة في الإمارة للمغيلي

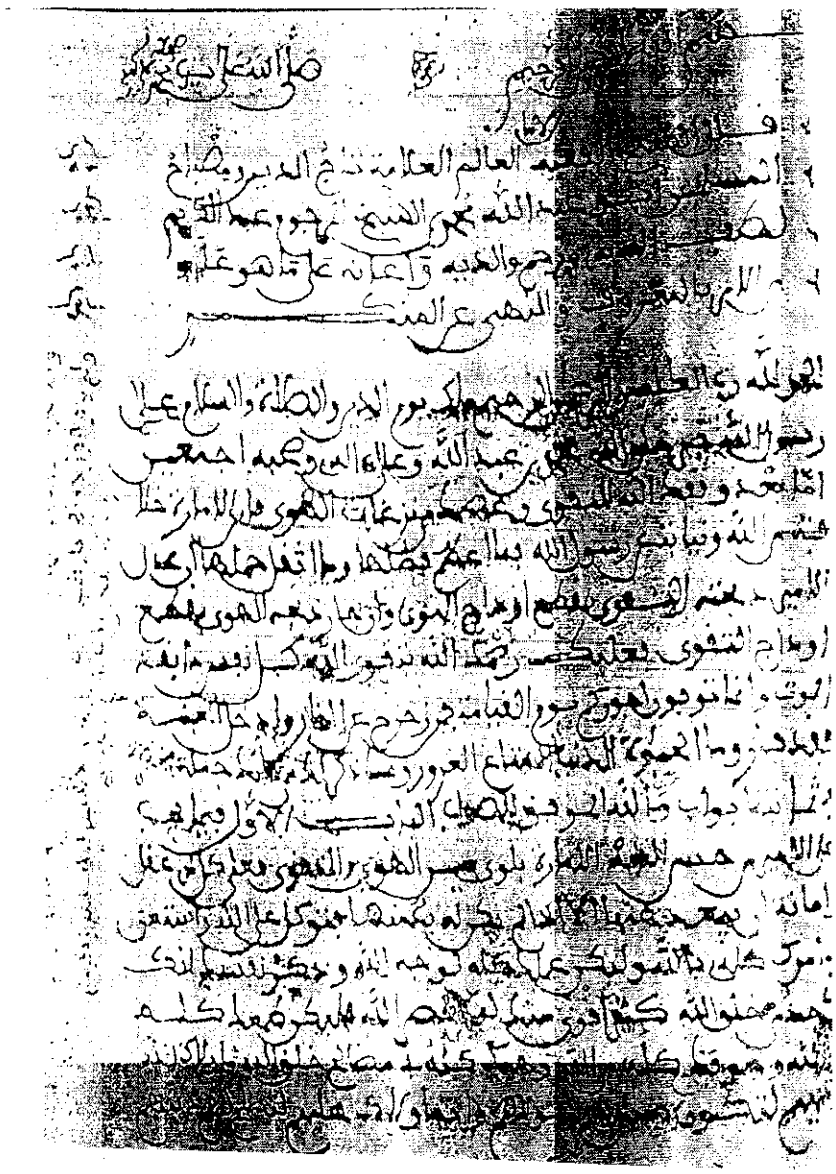

الملحق رقم 06: الورقة الأولى في مخطوط عمدة العلماء لعثمان دان فوديو

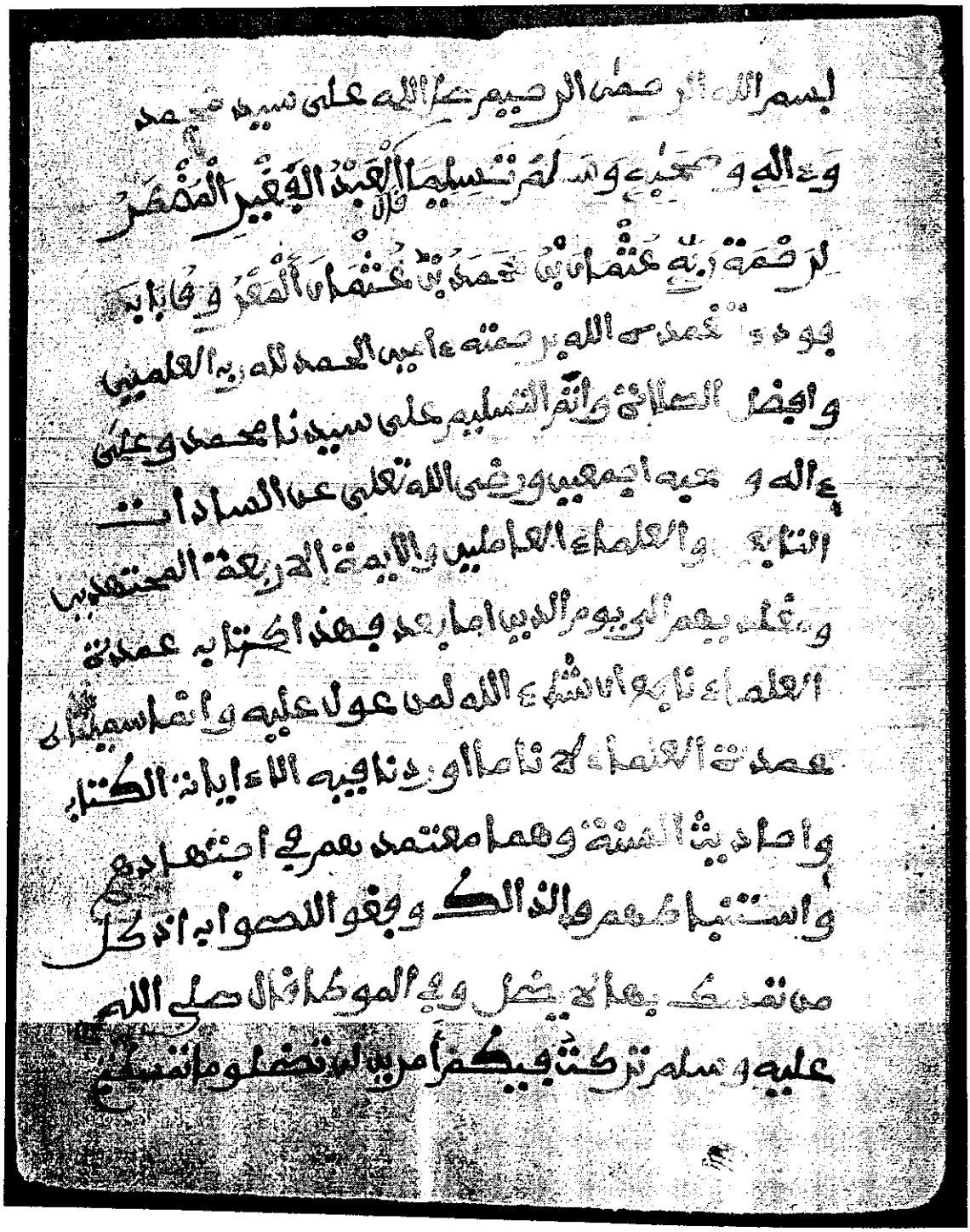
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما قال العبد الفقير المضطر
لرحمة ربه عثمان بن محمد بن عثمان المقرو وبابه
بودو محمد الله برحمته آمين الحمد لله رب العالمين
والفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين ورضي الله تعالى عن السادات
التابعين والعلماء العاملين والأيمة الأربعة المجتهدين
وعلينا بهم يوم الدين أما بعد فهذا كتاب عمدة
العلماء نافعا إن شاء الله لمن عول عليه واتخذه سبيلا
عمدة العلماء له ناظما وسماه وبناه فيه الآيات الكتاب
والأحاديث السنة وهما معتمدهم في اجتهادهم
واستنباطهم وإلى ذلك وبغوا الصحابة إذ كل
من تمسك بهما لا يضل وفي الموطأ قال صلى الله
عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم

الملحق رقم 07: الورقة الأولى من مخطوط فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر لعثمان دان فوديو

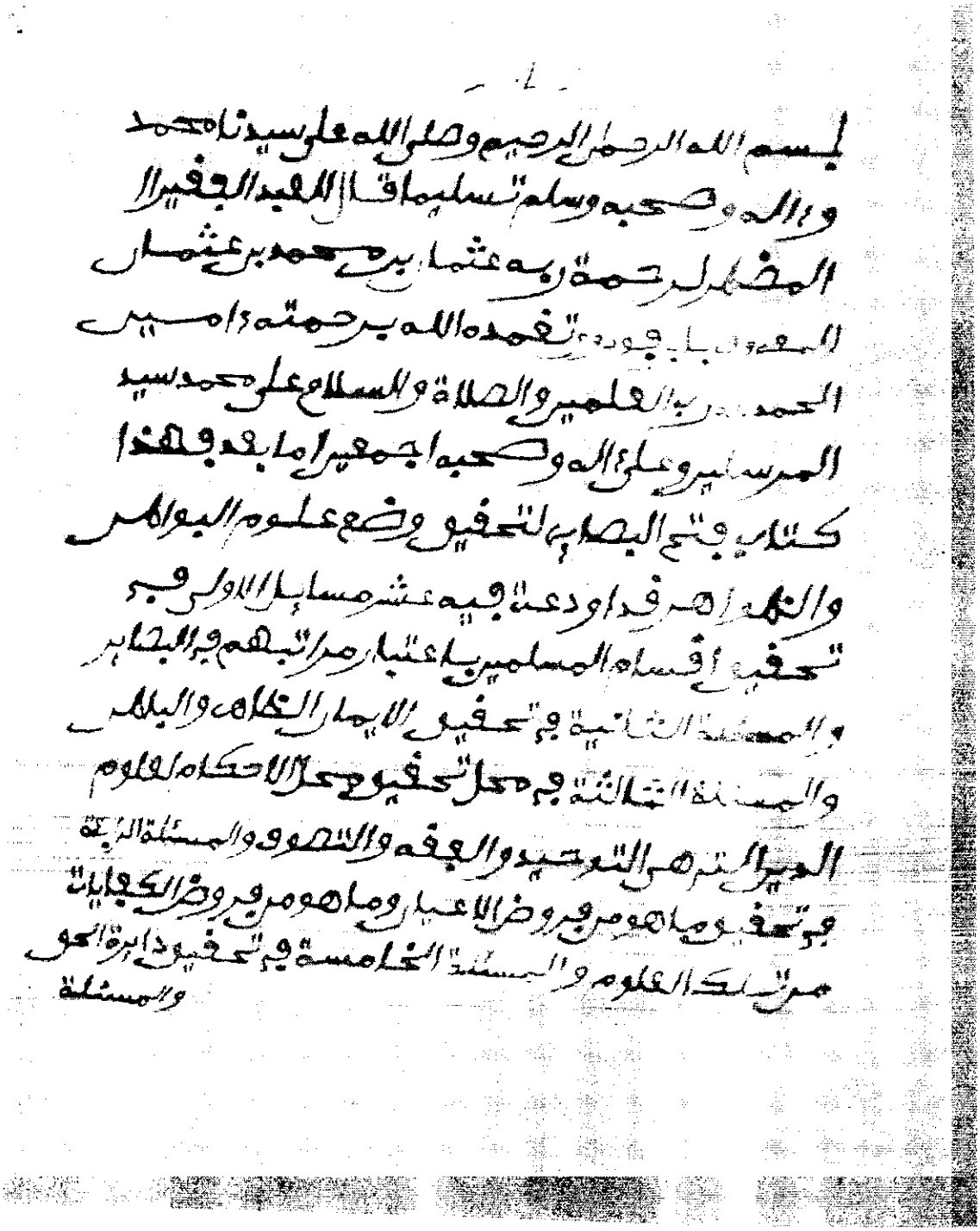

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما قال العبد الفقير
المذلل رحمة ربه عثمان بن محمد بن عثمان
المعروف بابودي نحمده الله برحمته آمين
الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على محمد سيد
المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد فهذا
كتاب فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن
والظواهر فداودعته فيه عشر مسائل الاولى في
تحقيق أقسام المسلمين باعتبار مراتبهم في البواطن
والمسئلة الثانية في تحقيق الايمان الخاص والبالغ
والمسئلة الثالثة في محل تحقيق محل الاحكام لعلوم
الظواهر التوحيد والفقه والتصوف والمسئلة الرابعة
في تحقيق ما هو من فروض الاعيان وما هو من فروض الكفايات
من تلك العلوم والمسئلة الخامسة في تحقيق دائرة الحق
والمسئلة

الملحق رقم 08: الورقة الأخيرة من مخطوط فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر لعثمان دان فوديو

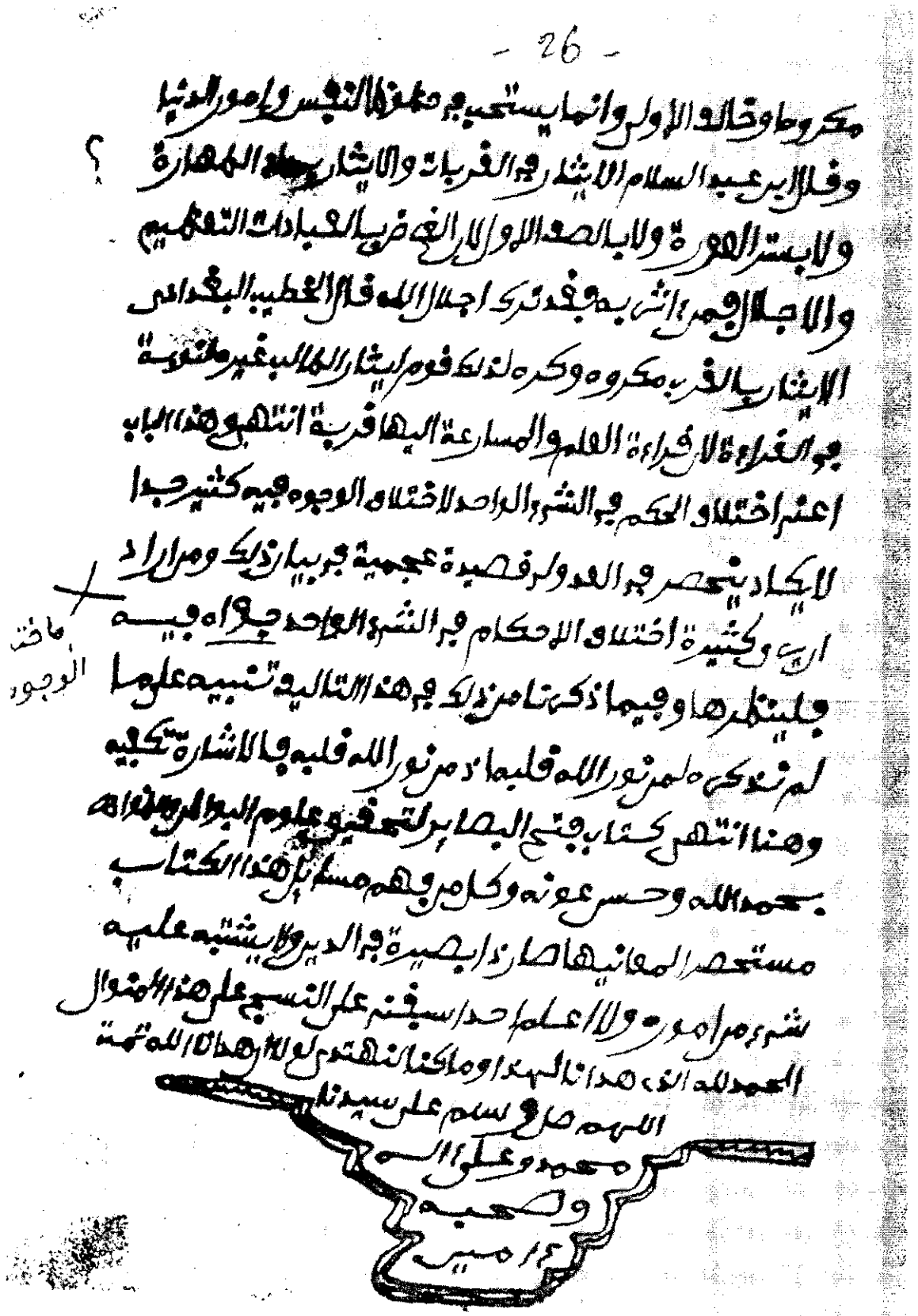

قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر المخطوطة:

1- ابن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد **'تقييد نسب المغيلي'**، مخطوط بخزانة الطيب بن عبد الله البلبالي الشاري بكوسام، أدرار، الجزائر.

2- محمد بن العالم الجزلاوي: **تقييد نسب المغيلي،الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب توات**، مخطوط، بدون ترقيم، خزانة أنزجمير، بلدية زاوية كنته، أدرار، الجزائر.

-المصادر المطبوعة:

3- أحمد الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب**، (تح) مجموعة أساتذة بإشراف محمد حجي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

4- أحمد بابا التمبكتي: **نيل الابتهاج في تطريز الديباج**،ج1و2، ط1، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م

5- أحمد بابا التمبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، 2002 .

6- إبن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج2، (تح) محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003م.

7- ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

8- ابن عبد الله الطالب محمد البرتلي: **الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور**، (تح) الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م.

9- ابن عساكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1977م .

10- حسن بن محمد الوزان: **وصف افريقيا**، ج2، ط2، (تر) محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

11- محمد بلو: **إنفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور**، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، المغرب، 1998م.

12- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، (تح)عبد القادر زبايدية، ضمن كتاب (الحضارة العربية والتأثير الاوروبي).

13- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، (تح)عبد المجيد الخيالي، ضمن كتاب(رسالتين في أهل الذمة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.

14- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **رسالة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام**، (تح) مبروك مقدم، ضمن كتاب (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحي بممالك السودان الغربي).

15- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**، (تح) محمد خير رمضان يوسف، دار إبن الحزم، بيروت، لبنان، 1994م.

16- عبد الرحمن بن خلدون: **العرب وديوان المبتدأ والخبر**، ج6، بيروت، لبنان، 1967م.

17- عثمان بن محمد فودي: **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، (تح) سيني مومني وسالو الحسن، ENS EDITIONS، 2012م.

-**المراجع**:

18- **أبو** القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري- ومن السادس عشر إلى العشرون ميلادي**، ج2، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م.

19- آدم عبد الله الألوري: **موجز تاريخ نيجيريا**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،1965م،

20- آدم عبد الله الألوري: **الأمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى**، دار الحلبي، القاهرة، مصر، 1974م .

21- أحمد أبا الصافي جعفري: **أبحاث في التراث**، مجموعة أبحاث ومداخلات، جامعة أدرار، 2008م.

22- أحمد أبا الصافي جعفري: **من تاريخ توات** ، النهضة المصرية، القاهرة ، 2002م.

23- أحمد الأزمي: **الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المحمدية، الجزائر، 2000م.

24- أحمد الحمدي: **الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي 'الاطار المعرفي والتعامل مع المكانية'**، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

25- أحمد بوعتروس: **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ/19م**، ط1، دار الهدى، ميلة، الجزائر، 2009م.

26- الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18**، الدار المصرية اللبنانية، لبنان.

27- ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في شمال افريقيا (من الفتح حتى اليوم)**، (تر)عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي، ط 32، لبنان، 1987م.

28- الخليل النحوي: **إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

29- إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998م.

30- زاهر رياض: **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى**، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة، مصر، 1968م.

31- يحي بوعزيز: **تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن 16 إلى القرن 20م**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001م.

32- مبروك مقدم: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية**، مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.

33- مبروك مقدم: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحي بإمارات وممالك افريقيا الغربية خلال القرن 8 و9 و10هـ-15 و16 و17م**، ج1، دارالغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

34- محمود السيد: **المغرب العربي(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا)**، مؤسسة الشهاب، 2004م.

35- محمود فرج محمود: **إقليم توات خلال القرنين 18م و19م**، الديوان الجامعي الجزائري، الجزائر، 1984م.

36- مصطفى أبو ضيف، أحمد عمر: **القبائل العربية في المغرب عصر الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

37- نعيم قداح: **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

38- عبد الحميد بكري: **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9الى 14هـ**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005م.

39- عبد الله مقلاتي، محفوظ رموم: **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، دار الشروق، الجزائر 2009م.

40- عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل: **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998م.

41- عبد الفتاح الغنيمي: **حركة المد الاسلامي في غرب افريقيا**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

42- عبد القادر زبايدية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

43- عبد القادر رباني: **الأمام محمد بن عبد الكريم حياته وآثاره مع دراسة وتحقيق أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2011م .

44- فيج،جي،دي: **تاريخ غرب أفريقيا**، (تر) و(تع) يوسف نصر، دار المعارف، لبنان 1982م.

45- خير الدين شترة: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، ج2، الجامعة الإفريقية، الجزائر، 2010م.

-**الرسائل الجامعية**:

46- أحمد الحمدي: **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره (870-909/1465هـ-1503م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الأسلامية، اشراف د.عبد المجيد بن نعيمة، قسم الحضارة الأسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الموسم الجامعي 1999- 2000م.

47- ياسين شبايبي: **الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتورة جهيدة بوجمعة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2006-2007م.

48- منيرة بوغرارة: **محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب افريقيا**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، إشراف د.أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية 2002-2003م.

49- نور الدين حاج أحمد: **المنهج الدعوي للإمام المغيلي**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية، إشراف د.مولود سعادة، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلام، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، الموسم الجامعي 2010-2011م.

50- عبد الله حاج أحمد: **الإمام المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي**، مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس في التاريخ، إشراف أ.مبارك جعفري، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي بالوادي، الموسم الجامعي 2010-1011م.

-**الملتقيات**:

51- **الملتقى الدولي الثالث عشر حول المذهب المالكي'تاريخ وآفاق'**، الجامعة الأفريقية بأدرار، أيام28-29-30، نوفمبر2010م.

52- **الملتقى الأول المشترك بين جامعة أدرار وجامعة تيارت 'العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي'**، جامعة ادرار، الجزائر ابريل 2009م.

53- **أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار**، ولاية أدرار 3-4 ماي 1985م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م.

54- **أعمال الملتقى الدولي بتلمسان'الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الديني'**،05-06 فيفري 2012م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2012م

55- **أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء**، أيام12-14 أفريل 1998م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1998م.

-المجلات والدوريات :

56- مجلة **النخلة**، مجلة ثقافية علمية تصدرها مجموعة القروط، أدرار (ع)03، ابريل 2007م، ادرار

57- مجلة **النخلة**، مجلة ثقافية علمية تصدرها مجموعة القروط، أدرار، (ع)7، سبتمبر 2011م.

58- مجلة **القبس**، تصدر عن مديرية التربية لولاية أدرار، (ع)20، أفريل، 1981م.

59- **حوليات** كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

60- مجلة **قراءات افريقية**، مجلة فصلية متخصصة في الشؤون الافريقية تصدر عن المنتدى الاسلامي، متاحة على الرابط:

www.qiraatafriam.com، العدد11، تاريخ الاطلاع 03/12 /2013م.

61- مجلة **التاريخ العربي**، مجلة علمية محكمة، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، (ع) 50،1996م، متاح على الرابط:

www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad11partie6.htm، تاريخ الاطلاع 04/09/ 2013م.

فهرس الموضوعات

مـــقدمة.....أ

الفصل الأول:بيئتا الرجلين.....**05**

المبحث الأول: الأوضاع العامة بأقاليم تلمسان، توات والسودان الغربي في عصر المغيلي.....06

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية بأقاليم تلمسان، توات والسودان الغربي في عصر المغيلي.....06

المطلب الثاني : الأوضاع الاجتماعية والثقافية لأقاليم تلمسان، توات والسودان الغربي في عصر المغيلي.....15

المبحث الثاني: الأوضاع العامة لبلاد السودان الغربي في عصر عثمان دان فوديو.....22

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية لبلاد السودان الغربي في عصر عثمان دان فوديو.....22

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية لبلاد السودان الغربي خلال عصر عثمان فوديو.....27

الفصل الثاني:المصلحان الحياة والآثار.....**31**

المبحث الأول: التعريف بالإمام المغيلي.....32

المطلب الأول: المغيلي المولد والنشأة.....32

المطلب الثاني: آثار المغيلي الفكرية.....38

المبحث الثاني: التعريف بالمصلح عثمان دان فوديو.....44

المطلب الأول: عثمان فوديو المولد والنشأة.....44

المطلب الثاني: آثاره و مؤلفاته.....49

الفصل الثالث: الفكر الإصلاحي السياسي لدى الرجلين.....**52**

المبحث الأول: حركتا المغيلي وعثمان دان فوديو الإصلاحيتان.....53

فهرس الموضوعات:

المطلب الأول: حركة الشيخ المغيلي الإصلاحية.....53

المطلب الثاني: حركة عثمان فوديو الإصلاحية.....58

المبحث الثاني: الدعوة وبناء الدولة عند الشيخين.....63

المطلب الأول: الحكم و بناء الدولة عند المغيلي.....63

المطلب الثاني: الدولة عند عثمان فوديو(1225هـ-1810م/1233هـ-1817م).....69

المبحث الثالث: المغيلي وعثمان دان فوديو "جدلية التأثر والتأثير".....73

المطلب الأول: أوجه الشبه والاختلاف بين الحركتين.....73

المطلب الثالث: معالم التأثير والتأثر بين المغيلي وعثمان دان فوديو.....82

خاتـــمـــة.....87

الملاحق والفهارس.....91

الملاحق.....92

قائمة المصادر والمراجع.....99

فهرس الموضوعات.....105